ظِل القاهرة

إيهاب عبد الرحيم

ظِل القاهرة

رواية

إهـــداء

إلى أبي وأمي

إلى حبات اللؤلؤ الست إخوتي

إلى هدى عـبدالرحيم، من دعمتني بالطرق كافة

إلى كلية التجارة جامعة القاهرة أساتذة وطلاب وعاملين ..

إلى توأم روحي، أحمد الحسين

إلى أصدقائي

ك ايمـن محمـود... د. أسـامة أبـو الحـم .... أحمـد محمد.. إسـلام حمدي..

محمـد عبدالهـادي.. د. أحمـد يوسـف.. د. محمـد عامر.. دعاء أشـرف

أدين لهم بالفضل والعرفان.

في محطة سوهاج

- السـاعة الثانيـة ظهـرًا في محطـة سـوهاج، كانـت الأرصفـة مكتظـة بالمسـافرين، كان عمـر يحمـل حقيبـة منهِكـة فـوق كتفـه.

- كان يقـف رجـل عـلى حافـة الرصيـف، يحمـل بـين يديـه لفافـة تبـغ، يراقـب الفتيـات في صمـت، يرمـي أمـام أقدامـه حقيبـة سـفر صغـيرة، أعجـب بفـتاة تجلـس بمفردهـا في الرصيـف الـموازي، تبـادلا الغمزات، فجـأة ودون سابق إنـذار، وقـع على القطبان إثـر تصادم طـفـل يـحمل حقيبة منهكـة ..

- شـعر عمـر بحركـة في الحقيبـة، لكـن سريعًـا مـا ترأسـت فـوق كـتفه، ثـم وجـد النـاس تفـر خلـفه وتكدسـت في البقعـة التـي مـر بهـا.. اسـتدار و هـو يتسـاءل في نفسـه، مـا الـذي يفعلونـه؟... حقًّـا إنهـم أغبيـاء ، لقـد تغـيرت اخـلاق البـشر... ورمـق بعينـه في الرصيـف المـوازي وجـد فتـاة تنظـر إليـه وتضحك بشكـل غريـب كـأنها تـشاهد مـسرحًا، يبدو أنها تكبره ولكن لا يهم، ألـقـى بالحقيبـة أرضًـا ، ومسـح رأسـه وشـد لياقـة قميصـه وهـو يبتسـم ، فعـل كل هـذا ليحظـى بإعجابهـا... قطـع مشـهده الرومانـسي صـوت القطـار مـن بعيـد منـذرًا للمسـافرين، ممزوجًـا مـع صـوت مـن الميكرفـون القطـار الموجـه إلى الإسـكندرية رقـم ٢٠٧ سـيوجد عـلى رصيـف واحـد بعـد قليـل ...

ركـب عمـر القطـار المتوجـه إلى الإسـكندرية بعـد أن سـئم مـن فشـله في الصعيـد.. بحثًـا عـن عمـل أفضـل.. تعـب عمـر مـن العمـل في أعـمال الخرسـانة، وقـرر السـفر ليعمـل في إحـدى الحـرف المربحـة والمريحـة... سـافر وهـو نـادم لأنـه لم يبـذل الجهـد المطلـوب منـه، عندمـا كان في الصـف الثالـث الإعـدادي،

وهـا هـو الآن حاصـل عـلى دبلـوم تجـارة الـذي لا يفيـده بـشيء سـوى في تخفيـض الخدمـة العسـكرية لعامـين بـدل مـن ثلاثـة.. ضاقـت في وجهـه الدنيـا، ومـا أسـوأ هـذا الشـعور.. عندمـا تنـسي أن اللـه يدبـر أمـورك.. عندمـا تعلـم أن وجـودك عالـةً عـلى أهلـك، عندمـا تنظـر إلى حالـك تيـأس.. عندمـا تراجـع ذكرياتـك تجـد أكـبر إنجـاز حققتـه هـدف أحرزتـه في مبـاراة مـع أصدقائـك.. حـين تشـعر بذلـك توقـف، إنـك عـلى خطـأ.. أنـت لسـت فاشـلً .. أنـت صارعـت في رحـم أمـك مـن أجـل الوصـول إلى الدنيـا.. تذكـر فعـل خـير فعلتـه.. تذكـر صـلاة أديتهـا.. أنـت بخـير بدليـل أنـك تشـعر بمـن حولـك. أنـت بخـير بدليـل أنـك تلـوم نفسـك.

تجسد أمامه صورة أستاذه في الإعدادية، وهو يقول

أنـت، الآن، تريـد أن تتغـير إلى الأفضـل.. الأمـر بسـيط ظـن أنـك أصبحـت أفضـل.. الآن، أنـت أفضـل...

سـاعد نفسـك تشـبث في أحلامـك.. تقـرب مـن اللـه أدِّ صلاتـك، فالصـلاة حيـاة.

فأنـت في الحيـاة الدنيـا مهـما تَطُـلْ فهـي قصـيرة، إنهـا دار ابتـلاء واختبـار للبشريـة..

- أنت في اختبار؟

- نعم.

- ماذا تريد؟

- النجاح.

- ماذا أعددت لتبلغ النجاح؟

- ها.... لم أعد فأنا قليلًا ما أتذكر أنّي في اختبار

- لأنك شردت عن المراد....

إذا أردت النجاح والوصول إلى القمة لا بد أن تعمل بكل السبل للوصول إلى ذلك.

لا تكن كالطالب العادي في حياته الدراسية، يستقبل العام الدراسي بكل حماس لطلب العلم والحصول على أعلى الدرجات.. ثم تمر الأيام ويبطأ الحماس ويبدأ الكسل والخمول .. ثم يفكر في أن يبدأ المذاكرة عندما يحين موعد الامتحانات... وأنت الآن يقتلك الحماس وتفكر في مستقبل يغلبه طاعه الله والعمل باجتهاد وتردد العمل عبادة.. وحين تمر الأيام.. تعود كالطالب العادي.. ولكن الفرق بينكم أنك لا تعلم موعد الامتحان لا تعلم متى ستقف أمام الرحمن.

ولماذا تحزن ؟ أنت حزين لأنك حاصل على دبلوم.. لم تقابل رجلًا يطلب منك أن تجري له مكالمة من هاتفة أو تقرأ له لافتة أو تراجع له فاتورة...

أنت حزين لأنك تعمل في الخرسانة.. بهذا العمل انت تحارب البطالة. أنت نافع للأمة.. أنت لست من ساكني المقاهي ولا واقفي النواصي.. لا يمكنك أن تعود إلى الخلف، وتغير البداية ولكن بإمكانك أن تغير النهاية.. هكذا تحدث عمر مع ذاته.

اللقاء الأول

ظل عمر جالسًا بمفرده بين أربعة مقاعد، حتى وصل محطة أسيوط. وعندها، جاءت عائلة جلست معه رجل خمسيني الشيخ رمضان وزوجته عفاف وابنته سارة ، رحب عمر بقدومهم وتمنى لهم رحلة سعيدة وتبادلوا الابتسامات.

ساد الصمت، وأغمض عمر عينيه باحثًا عن غفلة ليقلص مشقة السفر أو لأنه خجول ، حين وصولهم إلى المينا استيقظ عمر من صوت المسافرين، او اصطنع ذلك فهو لم يذق معنى النوم أمام هذا الجمال وجاء رجل أربعيني يريد الجلوس في مكان ابنه الشيخ وبيده تذكره المقعد ،

الشيخ : اتفضل يا أستاذ ، ثم أردف:

- لم نستطيع الحصول على تذكرة إضافية، ثم نهض من مقعده، وجلست ابنته وأفرغ المقعد الخاص بالرجل الأربعيني، وظل واقفًا برهة من الوقت.

عمر محدثًا نفسه: سيقف حتى القاهرة !! ولا يصح أن تقف ابنته أو زوجته، يا له من مسكين لم يلبث قليلًا، ثم نهض عمر من مقعده وطلب من الشيخ أن يستريح، وسيتبادلان الأدوار طيلة الطريق.

رفض الشيخ ولكن مع إصرار عمر وافق وشكره على تصرفه.

ابتسم عمر للشيخ وذهب ليقف في الممر.

غادر عمر مقعده ليقف على قدميه وهذه أفعال الرجال في تلك الظروف .

وجد عمر الممر مزدحمًا، فهناك من يجلس على الأرض، ومنهم من يلهو في هاتفه.

وحين جاء مفتش القطار، فر الجميع ولم يبقَ إلا شاب في غفوته يحلق في عالم آخر أعشق تلك الغفوة التي تأتي في وسائل المواصلات تجعلك تحلق في عالم آخر.

اصفها بالمخدرات المشروعة

طلب المفتش التذكرة، وهو ينظر بمكر خلف نظارته.

- اخرج له التذكرة.

- تفحصها ثم ردها إليه مرة أخرى..

ثم راح ينكز الشاب النائم، استيقظ الشاب وهو يقول عابثًا لا أحمل تذكرة ولا نقود... كأنه مستعد للجواب على سؤال معتاد.

المفتش مط شفتيه بعدم الرضا، وقال : ستأتي مع إلى الشرطة.

الشاب لا يبالي من حديث المفتش ونهض استعدادًا للذاهب معه يبدو أنه يأس من الحياة أو اعتداد على ذلك!!

قاطع عمر حديثهم وأخرج من سترته عشرين جنيهًا، وقدمها إلى المفتش لكي يتغاضى عن الموقف ويترك الشاب.

المفتش مداعبًا: وأنت ستأتي معي قضية رشوة . رد عمر النقود إلى محفظته وقال: إذا كنت لا تقبل الرشوة، وأنا أصفق لك على ذلك لماذا تتعمد ذاك الشاب وهو لا يحمل نقود!! أتملك الشرف: وليس لديك الإنسانية!! يبدو أنه لم يحسبها مداعبة،

ثـم أحـس عمـر بخشـونة الحديـث، وتابـع الحديـث بتلطـف نحـن مثـل أبنائـك ولـك مـا تريـد، وتظاهـر أنـه سـيدفع التذكـرة لهـذا الشـاب، ولكـن جـاء رد المفتـش بالرفـض وتبسـم لهـم وتركهـم.

جلـس الشـاب وظـل عمـر واقفًـا ينظـر مـن نافـذة البـاب يتجـول بنظـره في جـمال الطبيعـة، جـاءت أيـدي الشـاب تلامـس كتـف عمـر وقـال:

أشـكرك عـلى مـا فعلتـه مـن أجـلي. ثـم تابـع حديثـه وقـال: أنـا حسـام مـن أسـيوط وأنـت ؟

عمر: اسمي عمر.

تبـادلا الحديـث معـا... ظروفهـما تتشـابه وينتظرهـما مسـتقبل غامـض .. ولكـن مازالـت الابتسـامة عـلى وجههـما.

كان عمـر يحمـل حقيبـة يـد، وأراد ان يدخـل المرحـاض. تركهـا إلى حسـام ونهـض ولكـن أوقفـه حسـام وقـال لـه: لا تثـق بأحـد لمجـرد أنـه أعجبـك حديثـه، فالحيـاة أصبحـت مظاهـر؛ فبعـض الأشـخاص ظلـه أكـبر مـن حجمـه الحقيقـي، وأنـت لا تعرفنـي وتـترك معـي الحقيبـة !!

تبسم عمر وقال: أنا أثق بك.

تركَه وذهَبَ.

وعندمـا عـاد وجـد الفتـاة ابنـة الشـيخ طأطـأت رأسـها في خجـل والحيـاء يزيـن وجههـا، وألقـت عليـه السـلام، وشـكرته عـلى موقفـه النبيـل، وطلبـت منـه أن يـأتي ليريـح قدميـه، ابتسـم عمـر لهـا وقـال: لا داعـي للشـكر. إنـه واجبـي.

ثـم نظـر إلى حقيبتهـا، وتذكـر حقيبتـه التفـت حولـه، لم يجـد حسـام. تسـاءلت الفتـاة: هـل تفتقـد شـيئًا ؟

عمر بنبرة حزينة: تركت الحقيبة مع حسام، وعند عودتي لم أجده.

الفتاة باستخفاف: وما المشكلة في ذلك؟

عمر وهو يلطم: أنا لا أعرفه، تعرفت عليه منذ دقائق.

قالت الفتاة بدهشة: وتترك معه الحقيبة!!

ذهب عمر ليبحث عن حسام، وترك الفتاة... عادت الفتاة إلى والدها وأخبرته بما حدث لعمر.

عاد عمر إلى الممر حزينًا ، جلس يفترش الأرض ودماؤه تغلي والعرق يتصبب من جبينه، وشرد في قول حسام. كيف لسانه يتحدث بهذا وقلبه أسود؟!

إنه يترنم بحكم لم يتعلم منها شيئًا .

ثم جاءت الفتاة برفقة أبيها تواسي عمر.

نهض عمر ووقف على قدميه.

ثم قال له الشيخ: ابنتي أخبرتني بما حدث لك، تقبل هذا من والدك. ومد يده التي تحمل نقودًا ، نظر عمر إلى الشيخ وقال: لا أقبل مالًا من أحد ، شكرًا لمشاعرك...

ولكن صمم الشيخ على أن يعطيه المال وعمر مصر على موقفه ثم قال: له خذ ما يكفيك حتى تصل منزلك؟

رد عمر - : لا منزل لي، أنا ذاهب إلى القاهرة لأبحث عن عمل.

تعجب الشيخ من أفعال عمر، ثم قال له: ستأتي معي لا ترفض طلبي أرجوك!!

تداخلت الفتاة بعد نقاش طويل، وقالت وهي ضاحكة: سيأتي مجبراً وليس مخيراً.

تبسم عمر لهم وقال: حاضر يا عمي .

في القاهرة

وصل القطار إلى القاهرة وذهب عمر مع الشيخ إلى بيته . لبث في بيته حتى أذان الظهر استيقظ عمر على هتاف الشيخ:

اصح، يا ابني، الظهر أذَّن، هيا لنصلِّ في المسجد.

ذهب عمر برفقة الشيخ إلى المسجد، وبعد انتهاء الصلاة، جلس مع الشيخ يتحدث في أمور العبادة ثم انتقل الحديث إلى حالة عمر. سرد عمر قصته إلى الشيخ.

شعر الشيخ بصدقه وأعجب بأفعاله رغم صعوبة الأحداث التي مر بها وصغر سنه.

ثم قال له : هيا بنا نعود إلى البيت وتابع ضاحكًا: إذا تأخرنا ستغلق الباب أم سارة، ويكون الشارع مصيرنا.

استجاب عمر إلى مداعباته ونهض للعودة إلى المنزل.

أطرق الشيخ الباب وفتحت الفتاة سارة، دخل الشيخ وتابعه عمر، وهو ينظر في الأرض والخجل يسيطر عليه.

ليس الخجل للإناث فحسب، فخجل الرجال يزيد من رجولتهم ويظهر حسن تربيتهم وتزداد بهم النساء تعلقا.

جلس عمر على الأريكة بجوار الشيخ، ثم جاءت سارة وهي تحمل الطعام، ظل عمر يفكر فيما يفعل هل يقوم، ويأخذ الطعام من سارة أم يظل جالسًا؟ هتف الشيخ: اجلب الطعام، يا عمر، من سارة.

وقـف عمـر وهـو ينظـر أسـفل قدمـه، ثـم أخـذ الطعـام ووضعـه عـلى طاولـة الطعـام... جلـس عمـر والشـيخ وسـارة ووالدتهـا عـلى المائـدة يتنـاولان الطعـام، ثـم قـال الشـيخ: مـا رأيـك في الطعـام.

عمر : ما رأيت أطيب منه. سلمت الأيدي التي أعدت.

عفاف قالت في تبسُّم: شكرًا.

سارة: وماذا عن حامل الطعام؟!

عمر نظر إلى يده وقال ضاحكا: سلمت يداي.

ضحك كل من الشيخ وزوجته على رد عمر.

نظرت سارة له بغضب، فأردف على الفور

قائلًا وهو يضحك: سلمت الأيادي التي حملت.

ضحكـة سـارة، ثـم تابـع عمـر حديثـه: سـلمت الايـادي التـي حملـت، ووضعـت الطعـام عـلى الطاولـة.

نظرت بتعجب وقالت بنبرة حزينة: يعجبك هذا، يا والدي!

الشـيخ مداعبًـا: عمـر يبـدو بطـلًا أمامـي، الآن اسـتطاع أن يقـول مـا عجـز لسـاني عنـه.

نظرت سارة إلى عمر بغيظ، وقالت وهي ممسكة بالسكينة:

أريد الأيادي التي حملت لأشكرها.

قال عمر وهو يتظاهر بالخوف مداعبًا:

سلمت أيادي الأميرة سارة.

سارة : أنقذت نفسك هذه المرة.

ضحـك الجميـع وتبادلـوا المداعبـات أثنـاء تنـاول الطعـام، وكأن عمـر فـرد مـن العائلـة، ليـس بضيـف... انتهـوا مـن تنـاول الطعـام.

ثـم جلبـت سـارة الشـاي وعمـر والشـيخ يشـاهدان التلفـاز وقـال الشـيخ لعمـر:

ما رأيك أن تعمل معي؟

عمر: لا مانع.. سأكون سعيدًا بذلك.

سارة بطفولة: وأنا أريد أن أعمل.

التفت إليها الشيخ.

فهمست سارة: الشاي حلو!!

ابتسم الشيخ، وأشار إليها بالانصراف.

تابع الشيخ حديثه مع عمر، واتفق كلاهما على أن يعمل عمر معه.

كان الشيخ يملك شركة تعمل في نشاط تجارة الأجهزة الكهربائية.

سارة، يا سارة... هكذا هتف الشيخ.

أقبلت سارة عليهم، وهي تقول: نعم، يا أبي.

الشيخ: نظفي الطابق العلوي .

ثم نظر إلى عمر وتابع حديثه: عمر سيقيم به.

سـارة: حـاضر، يـا أبي والفـرح يغمرهـا. ولمـاذا لا تفـرح؟! فعمـر سـيكون أمـام عينيهـا دائمًـا.

غادرت سارة وتركت عمر مع أبيها.

عمـر: أود أن شـكرك ولكـن كيـف؟ كيـف أصـف مـدى جميلـك وإحسـانك تجاهـي...

الشيخ: لا تقل شيئًا.

البداية

في اليوم التالي، استيقظ عمر باكرًا استعدادًا للعمل كالطفل في يوم العيد. ذهب إلى العمل برفقة الشيخ، بدأ عمر التجول في الشركة برفقة البَرَكة.

بَرَكة رجل خمسيني أعزب قضى حياته في العمل بالشركة.. ماتت خطيبته إثر حادثه، ولم يتزوج من شدة حبها.

هذا ما عرفه عمر من قبل الشيخ ،

جاءت ساعة الراحة وانصرف العمال للغداء، خرج الشيخ من مكتبه، وهو يقول لـ عمر: هيا بنا لنذهب إلى البيت.

عمر كاد يهم بالانصراف ولكنه استدار وقال: العمال ذهبوا إلى الغداء، ونحن سنذهب ونترك الشركة؟!

الشيخ : البركة سيبقى بالشركة.

عمر بخفوت للشيخ: أنا سأبقى مع البركة في الشركة وسنتغدى معًا.

الشيخ: حاول أن يقنع عمر بالذهاب معه، ولكنه أبى وطلب منه أن يتركه مع البركة.

غادر الشيخ الشركة، وظل عمر برفقة البركة.

عـاد الشـيخ إلى بيتـه منفـردًا، اسـتقبلته سـارة وظنـت أن عمـر سـيلاحقه بعـد قليـل، ولكـن طـال الانتظـار، واحـضرت سـارة الطعـام عـلى الطاولـة، شـعرت سـارة بالإحـراج مـن أن تتسـاءل عـن عمـر، تنـاول الطعـام الشـيخ وغـادر البيـت، قبـل أن يذهـب إلى الشركـة ذهـب ليشـتري هاتفًـا لعمـر، ثـم توجـه إلى الشركـة، وهتـف لعمـر عقـب نزولـه مـن سـيارته، جـاء عمـر مسرعًـا وقـال: نعـم.

مـد الشـيخ يـده، وأعطـى عمـر الهاتـف وقـال لـه: الرسـول ﷺ قبـل الهديـة.

بهـذه الكلـمات اسـتطاع أن يلجـم عمـر، لأنـه يعلـم أن عمـر يرفـض تلـك المعاملـة تقبـل عمـر الهديـة، وشـكره وانـصرف للعمـل بعـد انتهـاء الحديـث بينهـم، ومـضى اليـوم الأول مـن العمـل، وعـاد عمـر إلى المنـزل، ولكـن هـذه المـرة لسـكنه المنعـزل في الطابـق العلـوي.

الصدمة

دخل عمر الشقة وهو يلتفت إلى معالمها، وقف أمام جدار معلق به صورة طفل. يبدو أنها سارة مرتدية ملابس أولاد، تفحص عمر الشقة، وأعجب بها واستلقى على السرير، ولفت نظره عبارة مكتوبة خلف باب غرفة النوم لم يستطع تميزها وهو مستلقٍ على السرير، نهض وقام نحو الباب وجد مدونًا عليه وحشتني يا طارق . تغيرت ملامحه بعد رؤيته تلك العبارة، وظهرت عليه الغيرة، وعاد إلى سريره، ورقد وهو شارد في تفكيره المزدوج. يقول لنفسه: كيف سارة تخون ثقة أهلها؟ والتفكير الآخر يصدر عبارات الاتهام ، وكيف أنت، يا عمر، تخون من مد يد العون لك حين أغلقت الدنيا لك أبوابها؟ ظل شاردًا من تفكير إلى آخر حتى ذهب في النعاس...

استيقظ على صوت الجرس، نهض عمر من مرقده وفتح الباب، ووجد والدة سارة تقول له بابتسامة ساحرة:

ـ الساعة العاشرة والنصف صباحا، ولا زلت نائمًا... يا لك من كسول!

ابتسم عمر وقال: لم أدرِ بنفسي.

عفاف: لقد أعددت الفطور.

عمر: في غضون لحظات سأكون على مائدة الطعام...

هبطت عفاف ولحقها عمر بعد أن ارتدى ثيابه وصفف شعره.

طرق الباب عمر عدة مرات... فتحت له عفاف وهي تبتسم وصحبته إلى مائدة الطعام.

سأل عمر عن الشيخ: أين الشيخ ؟

أجابت عفاف بدلال: ذهب إلى العمل منذ قليل.

نهض عمر واقفًا وقال مرتبكا: لا بد أن أذهب مسرعًا إلى العمل.

قامت عفاف وأمسكت بيده وهي تقول : تناول الفطور، ثم اذهب لن يحدث شيء .

واشارت له بالجلوس على مقعده.

جلس عمر وهو ينظر إليها في صمت.

أراد عمر أن يسأل عن سارة، ولكنه خاف أن تفهمه خطأً، اكتفى عمر بالنظر إليها، وظل صامتًا وبدأ في تناول الطعام.

تناولت عفاف الطعام، وبدأت في الحديث عن الصعيد، لكي تفتح حديث معه، ظل الحديث بينهم حتى انتهي عمر من تناول وجبة الفطور، وانصرف إلى العمل. ومن بعد هذا الموقف، اعتاد عمر على أن يسبق الشيخ إلى العمل، خشية من الجلوس مع امرأة وحدها، ويوضع في موقف لا يحسد عليه.

الفيس بوك

ذات يـوم كان عمـر في الشركـة يراجـع فواتـير البيـع والموردين ، أقبـل عليـه عماد.

عـماد هـو عامـل النظافـة بالشركـة، وهـو يحمـل فنجـان القهـوة قـال لـه بنـبرة حزينـة:

- تفضل القهوة.

لم ينتبه عمر إلى عماد. وأشار إليه بوضع القهوة على المكتب.

ـ أي خدمة أخرى، سعادتك؟

توقـف عمـر عـن فحـص الفواتـير، رفـع رأسـه، ونصـب ظهـره عـلى كرسـيه، وهـو يقـول: مـاذا بـك، يـا عـماد؟ فهـو يعـي جيـدًا أن عـماد ليـس في حالتـه، إنـه دائـم المـزاح مـع مـن حولـه:

ـ أنا زعلان من حضرتك.

ـ توسعت عيناه، وقال وما سبب الزعل؟!

ـ أرسلت لحضرتك طلب صداقة على فيسبوك منذ فترة.

ضحـك عمـر وقـال وفي عينيـه الحـب والتقديـر إلى عـماد: تعلـم، يـا عـماد، أنـا لم أفتـح حسـابي منـذ أن جئـت إلى القاهـرة.

حـك رأسـه بسـبابته وهـو يفكـر هـل يقـول لـه أنـت كاذب أم عليـه أن يـدرك أنـه لا يريـد أن يقبـل طلـب صداقتـه.. (فهـو رأي حسـابه وعليـه صورتـه الشـخصية التـي التقطهـا في مكتبـه)

اسـتيقظ عـماد مـن شروده عـلى صـوت عمـر، وهـو يقـول: هـات هاتفـك لأري حسـابي قـد اشـتقت إليـه.

ـ تفضل، يا أستاذ عمر.

أمسـك عمـر بالهاتـف، وتفحـص الفيـس بـوك ، لكـن كان الهاتـف يعمـل ببـطءٍ مـما دفـع عمـر أن يـترك الهاتـف، ويرجـع إلى تفحـص الفواتـير تجنبًـا لإهـدار الوقـت.

ترك الهاتف إلى عماد وقال له: سنرى هذا بعد.

أخذه عماد ... وغادر المكتب.

الابن

أفضل قرار أخذته، يا حاج رمضان أن أتيت بعمر. هكذا قالت عفاف.

ـ هـذه نعمـة مـن اللـه، الحمـد للـه عـلى مـا رزقنـا إيـاه . تعـرفي، يـا عفـاف، منـذ قـدم عمـر إلينـا والخـير يعـم ، فإيـراد الشركـة يـزداد يومًـا بعـد يـوم، لم أحـس بتعـب العمـل فهـو يعمـل كل شيء ، كنـا نعـاني في الشركـة عنـد سـاعة الغـداء.... الآن، أفضـل سـاعة نسـعي إليهـا هـي سـاعة الغـداء.. فـالأكل الجماعـي في العمـل يبعـث الـروح في قلوبنـا، ويزيـد مـن حماسـنا.. والعـمال تحـس بذاتهـا عندمـا يـرون صاحـب الشركـة يجلـس بجوارهـم...

ـ عفـاف وهـي فخـورٌ بعمـر: إنـه فعـلًا شـاب ذو عقـل مُبْهـــر وقالـت في سرهـا: إنـه خـير الشـباب.

الشيخ : حتى سارة لم تكن كهذا قبل قدوم عمر.

عفاف بصوت غاضب: ماذا تقصد؟!

الشـيخ تبسـم وقـال لهـا: سـارة كـبرت ولكـن لا أقصـد هـذا. أنـتِ تعلمـين جيـدًا مـا مـرت بـه سـارة بعـد أن فسـخت خطوبتهـا مـع ابـن خالهـا....

عفـاف : لا تذكـر هـذا مـرة ثانيـة، فهـذه غلطتـي أني وافقـت عـلى تلـك الخطوبـة، وهـي لازالـت صغـيرة ولم تتـدارك الموقـف جيـدًا، وأنـا لم أكـن خـير صديـق لهـا في ذاك الوقـت.

ليلة الجمعة

في ليلة يوم الجمعة، كان عمر عائدًا من عمله وهو ممسك بهاتفه يتفحص على فيسبوك، لم يجد طلب صداقة من عماد، حاول أن يبحث عنه فلم يتذكر اسم والده حاول مرة ثانية باستخدام رقم هاتفه بلا جدوى، قال في شروده، وهو يشاهد حديثه مع عماد في مخيلته: يبدو أن عماد كان يريد مسألة، وعندما واجَهته قد ادعي هذا المسلسل كذبًا ، عله خير ان شاء الله...

خرج من فيس بوك ودخل في قائمة الأسماء وأتى باسم عماد... كاد أن يضغط على الزر الاخضر، ولكن سريعًا ما تراجع عندما رأى أن الساعة توشك على الثانية صباحًا... دلف البيت بعد زيارة السوبر ماركت الذي دائما ما تنعش ليله عند تناول الشكولاتة واحتساء القهوة معًا بجانب سماع أم كلثوم، يجعله يحلق في عالم آخر... بينما هو يصعد درجات السلم الرخامي، أطلت سارة من ثقب الباب كعادتها تراقبه، خطر في بالها أن تخرج لتلقي بالقمامة في سلة المهملات، ولكن سريعًا ما تراجعت بعد أن سمعت صوت والدتها من الداخل، وتسللت إلى غرفتها قبل أن تلاحظها والدتها، وظلت خلف ثقب باب غرفتها تراقب والدتها وهي تتساءل لماذا هي مستيقظة حتى الآن !! ولماذا والدتي أجبرتني

أن أنـــام بـــاكـرًا بـحجة الاسـتيقاظ مبكرًا لدواعي السفر إلى الإسكندرية ؟؟ في هـذه الأثـــناء خرجـت عفـاف مـــن غرفتهـا، ورمقت الإضـاءة آتيـة من خلف زجـاج غرفـة سـارة، توجهـت إليهـا. فتحـت البـاب بـــهدوء، ورأت سـارة غارقـة في النـوم. أغلقـت اللمبـة وخرجـت، وأغلقـت الـــباب بهـدوء تـام خشـية أن تقلـق نـوم سـارة.. نهضـت سـارة سريعًـا بعـــد أن تظاهـرت بالنـوم، واتجهـت نحـــو ثقـب الـــباب تراقـب والدتهـا، بعـد أن شـكت فـــي أمرهـا... ولـــكن سريعًـا مـــا رأت والدتهـا تصـلي فـــي الصالـة ،حينهـا أحسـت بالذنـب... بينـما في ظـل هـذا الوقـت، كان عمـر قـد احتـسى قهوتـه وتنـاول الشـكولاتة المفضلـة معهـا، واسـتمتع بصـوت أم كلثـوم.

رحلة الإسكندرية

في الصباح، استيقظ عمر على صوت هاتفه يحسبه المنبه، فلم يبالِ له، ونام مرة أخرى ، رن ثانية ، نهض عمر وجلب الهاتف من فوق المنضدة ليغلق ذلك المنبه اللعين، لكن الأمر كان غير ذلك، فكانَ رقم الشيخ يملأ الشاشة. أجاب عمر:

- آلو.

- أنت لازلت نائمًا حتى الآن ؟!

- اليوم إجازة، يا عمي.

- لذلك قررت أن نسافر إلى الإسكندرية.

- رحلة سعيدة.

- ستكون سعيدة برفقتك. قالها وهو يضحك.

- نعم؟ برفقتي... ثم أردف: أنا لست مستعدًّا لذلك.

- لا تكن كسولًا، فالرجل منا يستطيع أن يأخذ قرار السفر في غضون دقائق، والأمر لا يكلفه إلا حقيبة صغيرة تسع قميصًا وبنطالًا.

- حاضر، يا عمي.

- استعد بسرعة.. سلام.

ـ سلام.

بعد نصف ساعة، طرق عمر باب شقة الشيخ. فتح له الشيخ.

ـ بسم الله ما شاء الله. عريس، يا اخوانا.

ـ ابتسم عمر وقال: لا تجامل، يا عمي. ثم أردف لماذا لم تخبرني أمس، كنت ستشاهد عريسًا بحق. قال هذا وهو ممسك بياقة قميصه ويتفاخر، والابتسامة تملأ وجهه.

- تدخلت سارة وهي تقول: كيف يقول لك وأنت حتى الساعة الثانية صباحًا كنت بالخارج ؟ !

- تسلل صوت سارة إلى عفاف التي تجلس بالغرفة المجاورة أمام المرآة ، رددت في نفسها سارة كانت مستيقظة أمس حتى الساعة الثانية صباحا، وربما أكثر.. تدورت الأفكار في ذهنها.

هل استيقظت فجأة ، أم هذه عادتها ... ولو كانت كذلك... لماذا؟

بينما عمر تساءل في ذهنه: هل سارة تراقبني؟ ثم قال لها: كنت جالسًا على مقهى الصعايدة ولم أدرك نفسي، وأنا أتصفح الفيس بوك..

الشيخ: الفيس بوك، يا عمر.. انت تهدر يومك أمام شاشة هاتفك... ثم أردف إن لم تنضبط، سيصبح هاتفك فتات...

ضحك عمر وقال: منك لله، يا سارة.

- سارة وهي تبتسم : لكي تحملق في هاتفك على راحتك.

جاءت عفاف إليهم...

خرجوا من المنزل وركبوا السيارة قاصدين طريق مصر إسكندرية الصحراوي.. جلس الشيخ على كرسي القيادة، بينما عمر بجواره وسارة وعفاف جلسا بالكرسي الخلفي..

ذهبـوا إلى الشـاطئ وتنـاولا وجبـة الغـداء. بعدهـا، سـار الشـيخ برفقـة زوجتـه عفـاف تجـاه الميـاه.. ظلـت سـارة جالسـة مـع عمـر.

سارة : ما رأيك في البحر؟

عمر: جميل جدًّا. قالها وهو يتأمل المناظر الطبيعية حوله.

سارة: آسفة لم أسمعك ؟ قالتها وهي تخفي ضحكتها بيديها.

عمر: منظر رائع.

سارة: لا... أنت قولت إنه جميل جدا.

نظـر لهـا عمـر بتعجـب وقـال : أنـتِ سـمعتِ مـن المـرة الأولى.. لمـاذا تطلبينهـا مـرة أخـرى.. أغنيهـا لـكِ أجمـل؟

سـارة: سـمعت كلمـة أجمـل. وضحكـت بصـوت عـالٍ وهـي تقـول: قـل جملـة بهـا حـرف الـ ج واقـع في خمـس كلـمات.

عمـر فهـم أنهـا تضحـك، وتريـد سـماع حـرف ج لأنـه يقولـه بلهجـة الصعايـدة.

لهجـة الصعيـد أعتـز بهـا جـدًّا.. و فخـور بهـا، كفّـي. عنـد حديثـي مـع أي شـخص يـدرك أني صعيـدي.

سـارة : وأنـا بحـب أشـاهد مسلسـلات الصعيـد بسـبب طريقـة كلامكـم.. ممتعـة جـدًّا.

اسـتلقي عمـر عـلى الرمـال وهـو ينظـر إلى السـماء، ويحـدث سـارة عـن جـمال الصعيـد حتـى انتقـل الحديـث إلى طفولتـه.

ـ كنـت دائمـا أذهـب مـع جـدي إلى الـزرع لـكي أسـتمتع بالخـضرة، وكان جـدي حنونًـا جـدًّا معـي.. ذات يـوم مـرَّ مـن أمامنـا بائـع بطيـخ متجـول بعربـة خشـبية محمـل عليهـا بطيـخ. نظـر جـدي إلى عينـي التـي تشـتهي البطيـخ.

ذهب على الفور واشترى بطيخة، ثم ألقي بها في المجرى المائي وسط الأرض الخضراء، عندها تساءلت ببراءة الأطفال: هل جدي سيقوم بزرعها أم ماذا؟!

ثم ذهبنا إلى البيت، أخذنا طعامًا وعدنا مرة أخرى إلى الأرض، جلسنا تحت شجرة وأعددنا الطعام . كان فطير مشلتت وقشدة وزبدة وبيض.. وأخرج جدي البطيخة من المجرى المائي . عندها علمت أنه فعل ذلك لكي تكون باردة. استخدم المجرى مثل الثلاجة في البيت. أكلنا بشهية وبعدها رأيت جدي يرفع كوز المياه الفخاري والماء يتساقط في جوفه.. بعدها أردت ان أقلده، ولكن الماء تساقطت من بين شفتي وبللت ملابسي...

سارة: ياه.. أنا نفسي أذهب إلى الصعيد، وأعيش هذه الأجواء.

عمر بتعجب: أنا أتذكر أن التقيت بكم في اسيوط؟ ؟

سارة: نعم.. منزل جدي بأسيوط، ولكن في وسط المدينة... إنما أنت تسكن في الريف.. الريف الجميل.. قالتها بلهجة صعيدية وهمت للهروب والابتسامة تملأ وجهها خشية من أن يمسك بها عمر.

حاول عمر اللحاق بها، ولكنه كان يبطئ من مشيه لأنه يخشى لحظة الإمساك بها، فكيف يلامس جسدها، وهو حتى الآن لم يصافحها باليد ؟!!

حتى وقعت سارة على الرمال من كثر الضحك، ووقع عمر بجوارها..

ـ أنت ليه تركت سوهاج. قالتها سارة بنبرة حادة لكي تخترق أصوات الريح، وتصل إلى مسامع عمر.

أصاب السؤال الذهول بعض الشيء.. فأطلق تنهيدة، و فكر في أقل كلام يمكن أن يعبر به على ما ينوي أن يقوله، ثم قال محدثًا نفسه القدر الذي جعلك تشتاقين إلى طارق..... ثم قال بصوت تسمعه سارة: القدر... القدر الذي جعلني ألتقي بكم. قالها متبسمًا.. بعد أن نتهى عمر بالإجابة

وسارة على الاستعداد في طرح سؤال آخر. رن هاتف عمر، وهذا من حسن حظه. أخرج عمر الهاتف من جيبه، وكان المتصل والد سارة.

أجاب عمر عليه، وأمره بالذهاب إليه...

ذهب عمر وبرفقته سارة إلى الشيخ واحتسيا الشاي معًا.

قضى يومهم... كانت الأجواء رائعة.

المنافسة

عمر. قالها الشيخ وهو جالس على مكتبه.

عمر: نعم، يا عمي.

أشار إليه بالجلوس، ثم قال أنت تعرف الحاج حمدان صاحب شركة عائشة للأجهزة الكهربائية عمر: نعم ده أشهر من النار على العلم.

الشيخ: علمت أنه سيفتح فرع في شارعنا، وهذا يعني أنه سوف تكون هناك منافسة قوية في السوق.. لا بد من تخفيض الأسعار لكي نحافظ على عملاءنا...

عمر: لا... أحيانًا العميل يسيء الفهم للأسعار المنخفضة.. ومن المحتمل المنافس يستخدم هذه كورقة مربحه له.

الشيخ: ما الحل إذن... قالها وهو فخور بتفكير عمر.

رد عمر بثقة: لا بد من دراسة وتحليل الموقف، ثم نخطط بعدها.

الشيخ: توكلنا على الله...

غادر عمر المكتب، وهو يفكر فيما ينتوي فعله.. جلس عمر أمام التلفاز يتابع أحد البرامج.. جاء عماد إليه.

ـ إزيك، يا أستاذ عمر.

ـ عماد، أنت تدرس؟ قالها عمر متسائلًا.

عماد : نعم.. لماذا؟

عمر: أريد أعرف في أي مرحلة أنت؟

عماد: المرحلة الجامعية كلية التجارة الفرقة الثانية.

عمـر: في كليـة تجـارة.. وتقـول يـا أسـتاذ عمـر!! أنـت الأسـتاذ عـماد.. أتفضـل اجلـس، يـا أسـتاذ عـماد.. قالهـا متبسـما.

تعجـب عـماد مـن أفعالـه وظـن أنـه ارتكـب جريمـة.. جلـس وهـو يعتريـه شـعور بالخـوف والقلـق.

عمر: ماذا تفعل لو كنت صاحب الشركة؟

عـماد: لم يـعِ مـا يقصـده عمـر.. قـال بنـبرة قلـق: لا أفهـم شـيئًا مـا شـأني بالأمـر أنـا لسـت صاحـب شركـة.

عمـر موضحًـا لـه، وهـو يلـوح بيـده، لـكي يسـتطيع وصـف تعبـيره.. لكـن الأمـر كان غريـب عـلى عـماد نحـن نريـد أن نطـور الشركـة بمـاذا تريـد أن تنصحنـا.. أدرك حينهـا عـماد الأمـر، وخبـط يـده عـلى جبينـه، وهـو يقـول.. آه فهمتـك.

تعـرف يـا أسـتاذ عمـر دائمًـا مـا أشرد بخيـالي قبـل النـوم في صنـع الإنجـازات ولـدي أكـثر مـن خطـة لهـذه الشركـة.

التقـط عمـر الهاتـف مـن عـلى مكتبـه، وقـام بطلـب وجبتـي مـن مطعـم عنـتر الكبابجـي وأبلغهـم العنـوان.

ثـم عـاد للحديـث مـع عـماد، وقـال لـه: أمسـك بهـذا الكشـكول، واسـترجع خطتـك في ذهنـك، لـكي تبـدا في شرحهـا لي.

بدأ عماد في رسم خططته، وعمر بجواره...

جاء الطعام.. أكلا معًا.. ثم تابعا دراستهم.

أبدي عمر إعجابه، بما يملكه عماد من مهارة فكرية وخبرة في التسويق.

***

في اليوم التالي.

اجتمع عمر والشيخ وعماد...

عمر: اشرح لنا وجهة نظرك، يا عماد.

عماد بنبرة تظهر خوفه وقلقه من أن ينسى شيئًا، وهو يتحدث مع صاحب الشركة. ظل أمس طيلة الليل يتدرب على إلقاء هذه الكلمات، وحان الآن وقت التنفيذ.

ـ أنا كي لا أطيل عليكم بكلام علمي يصعب فهمه، سوف أضرب مثلًا للتبسيط.

أومأ كل من الشيخ وعمر... أردف عماد.

ـ عند شراء سيارة ننظر إلى قطع الغيار هل متوفرة أم لا وبعدها ننظر إلى الصيانة هل يوجد مراكز صيانة أم لا؟

نحن سنلعب على نفس النهج.

نظر الشيخ وقال كيف ؟ وهو يحك ذقنه بيديه.

عماد : أولًا نحن نتعامل في نفس الماركات التي يتعامل معها الآخرون.. إذن علينا أن نصنع فارقًا، وهو توفير مراكز صيانة

التسويق الحديث يهتم بالخدمة ما بعد البيع، ونحن سنعمل على هذه النقطة.

عمر موضحًا للشيخ رؤية عماد: سوف نعين مهندسين صيانة، ومن خلال ذلك سوف يكون لنا ميزة تسويقية بالإضافة إلى إيراد من مصدر حديث.

الشيخ: لكن الأمر ليس بهذه بالسهولة... سوف نحتاج إلى دعاية.

عماد: ما العقبة في ذلك؟... وقال بصوت حيويّ يدل على ثقته في نفسه سنستخدم الفيس بوك في ذلك.

الشيخ بتعجب: فيس بوك!! ونظر إلى عمر وعلى وجهه الاستغراب.

عمر: لتتأكد أن الفيس بوك يوجد به الإيجاب والسلب قالها بشيء من التفاخر.

الشيخ: ما شاء الله.. العلم نور.

عماد: أنا أدرس هذا العام مادة التسويق في الكلية.. وأصبح التسويق الإلكتروني سيد السوق الآن، يتوغل في بيوت العملاء

انتهي الاجتماع، وقرر الشيخ تنفيذ جميع ما دار بينهم.

تم فتح مركز خدمة يخدم جميع فروع الشركة نجحت الفكرة، وارتفعت المبيعات وزاد الإيراد، كما تم تصميم موقع على فيس بوك وباقي مواقع التواصل الاجتماعي.

بعد ثلاثة شهور، قرر الشيخ زيادة المرتبات.

عمر: لماذا تمت زيادة المرتبات في ذلك الوقت؟ سأل عمر الشيخ لكي يتعلم فهو حاصل على دبلوم لكنه يتمتع بالطموح، ويعي جيدًا أن التعليم العملي قد يعوضه عن عدم إكمال دراسته، ويتمني أن يكون صاحب شركة أجهزة كهربائية... لذا سأل الشيخ الشيخ: العنصر البشري أهم عنصر في الشركة.

عمر: يبدو أنه لا يعي بمصطلح العنصر البشري.

لم يتدارك الموقف قال متسائلًا : كيف إذن، وهو يحاول أن يخرج

نفسه من الموقف فقد يسبب له حرجًا، الشيخ قابل سؤاله بطرح سؤال يريد أن ينطق الإجابة على لسانه:

أنت ترى الشركة أمامك، وتعلم بما أنك كنت في ثانوي تجاري الأصول والخصوم وحقوق الملكية.

هز عمر رأسه بالإيجاب.

الشيخ : ما أهم أصول الشركة؟

أ خذ عمر يفكر، ثم قال المبنى والسيارة والبضاعة والـ.....

قال الشيخ: إذا توفر كل ذلك من غير الإنسان. هل سيتحقق أرباح لدى الشركة؟

عمر ببساطة قال : لا.لا... ثم أردف الآن فهمت المغزى.

***

في بيت حمدان

الحاج حمدان صاحب شركة عائشة للأجهزة الكهربائية بالإضافة إلى مكتب عقارات، ويملك عدة عمارات في المنطقة.

كان يمتلك حصة سوقية تفوق حصة الشيخ، ولكنه لاهتمامه إلى مجال العقارات كان لا يهتم بالتطوير لباقي الأنشطة.

لكن الامور تغيرت عندما وُجدجد عمر مع الشيخ، وانقلبت الطاولة عليه، وأصبح الشيخ مسيطرًا على السوق.

(عمر ليس سببًا في ذلك.. لكن سبحان الله.. هو أكرم عمر... وربُّ عمر أكرمه...)

كما أن حمدان يحب الوجود في المكتب العقاري كثيراً، ويهتم به لأنه يرى نفسه في ذلك المكان، فهو كان نقاشًا ماهرًا في شبابه، والعقارات كانت وش السعد عليه.

ذات يوم في منزل حمدان، والجميع يلتف على مائدة الطعام لتناول وجبة العشاء.

فرحة ابنة حمدان في عقدها الثاني : لماذا لا تقوم بحمله دعاية على فيس بوك، يا أبي مثل شركة الشيخ؟

حمـدان: لسـت بحاجـة إلى تكاليـف وحمـلات دعايـة، فنحـن نسـيطر عـلى السـوق، والشركـة تعمـل بشـكل جيـد

يا أبي، قالها معتز ابن حمدان لجذب انتباه والده.

انتبه إليه حمدان.

ثـم أطلـق حديثـه عـن مـدى الشـهرة التـي حصلـت عليهـا شركـة الشـيخ بعـد هـذه الدعايـة، وانـه أسـلوب اليـوم، وهـذا أفضـل مـن الدعايـة في الجرائـد أو الشـوارع.

_ الأمـور عـلى مـا يـرام. لا تقلـق بشـأن شركـة الأجهـزة. هكـذا رد حمـدان بـكل ثقـة.

لم يتخـذ حمـدان أي إجـراء أو رد فعـل تجـاه منافسـيه، وفضَّـل عـدم الانتبـاه لهـم.. ويـرى أنـه أكـبر مـن أن يقلـد شركـة في شيء.. واعتقـد أنهـم يحتاجـون إلى قـرن للوصـول إليـه.

***

زيارة حمدان

ذات يـوم جـاء إلى زيـارة الشـيخ رمضـان في مقـر الشركـة الرئيـسي الـذي يعمـل بـه عمـر، وأبلـغ الشـيخ انـه ينتـوي فتـح فـرع آخـر في هـذا الشـارع وقـال للشـيخ اذا كان الامـر سيسـبب ازعـاج يمكنـه التوقـف عـن تنفيـذه

الشـيخ : لا يمكـن احـد ان يقـف أمامـك ثـم أردف بصـوت حـاد وهـو يشـير بيـده الممسـكة بالمسـبحة إلى الأعـلى سـبحان مقسـم الارزاق

حمدان : ونِعم بالله ... أود أن أطلب منك خدمة.

الشيخ : تفضل

تلعثـم حمـدان ثـم قـال محـاولًا خلـق أي مدخـل لـكي يخـبره أن ابنـه معتـز يطلـب يـد ابنتـه سـارة: أنـا قـررت شراء دكان الحـاج رفعـت.

الشيخ: هل تقصد مطعم البيتزا؟؟

أومأ حمدان برأسه بالإيجاب.

الشيخ متسائلا : لكن ما سبب ذلك ؟! فالمطعم يعمل بشكل جيد.

حمـدان متبسـما : كل شيء نصيـب. ثـم أردف أريـد منـك مسـألة عائليـة وأعلـم أن هـذا مـكان عمـل، ولا يصـح الحديـث في تلـك الأمـور هنـا.

الشيخ بقلق: ما الأمر، يا حاج حمدان؟

حمـدان وهـو يضحـك: كل خـير، يـا شـيخ، لا تقلـق. ثـم أردف : أنـت تعـرف معتـز، ابني؟

الشيخ : نعم، ربنا يحميه.

حمدان : يريد أن يتقدم لابنتك سارة.

الشـيخ وهـو يضحـك: معتـز في مقـام ابنـي... وأنـا لا امانـع.. ولكـن أنـت تعلـم كيـف تتخـذ هـذه الأمـور... دع الأمـر واللـه المسـتعان.

حمدان : أنتظر منك الرد.

الشـيخ : سـارة مُقْدِمـة عـلى امتحانـات نهايـة العـام سـنتحدث في الأمـر بعـد الامتحانـات.

نهـض حمـدان مـن كرسـيه وعـلى وجهـه الابتسـامة وصافـح الشـيخ وقـال: عـلى بركـة اللـه .. ثـم قـال لـه مصافحًـا: أسـتأذنك أنـا.

الشيخ: في رعاية الله.. أعلم مدى ثمن وقتك... الله معك.

هـمَّ حمـدان للمغـادرة، ولكـن قبـل خروجـه قابـل عمـر وهـو مقبِـل عـلى الشـيخ.

عمر: السلام عليكم.

الشـيخ وحمـدان: وعليكـم السـلام ورحمـة اللـه وبركاتـه. الشـيخ: هـذا عمـر ابـن اخـي. قالهـا وهـو يغمـز إلى عمـر.

حمدان: ما شاء الله.. أهلًا بك، يا عمر.

عمر وهو لا يفهم شيئًا: أهلًا، يا عمي.

حمدان: أستأذنكم.. السلام عليكم.

رد الشيخ بصوت عالٍ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

بعـد مغـادرة حمـدان مكتـب الشـيخ، تسـاءل عمـر عـن سـبب ادعائـه لهـذا.

الشيخ ربت على كتف عمر وقال: اجلس.

جلـس عمـر والشـيخ جلـس عـلى الكـرسي المواجـه لـه وقـال: حمـدان صديقـي منـذ الطفولـة.. تربينـا معًـا، ولكـن الأمـور اختلفـت فيـما بعـد... هـو كان يعمـل في العقـارات، وليـس لـه خـبرة في مجـال الاجهـزة الكهربائيـة.

أنصت عمر إلى الشيخ، وهو ينظر إليه كما ينظر الطالب إلى المعلم.

ثـم أردف الشـيخ : توجـد أمـور بيننـا لا داعـي لذكرهـا ... أمـا أنّي قلـت لـه إنـك ابـن اخـي، فهـذا لأوضـح أنـك قريـب منـي، بالإضافـة إلى أن أعطيـه إحساسًـا أن في ظهـري رجـلًا.. قـال رجـل وهـو فخـور بعمـر.

عمر نهض واحتضن الشيخ وربت على ظهره وقال: ربنا يحفظك لنا.

مشاعر عجوز

بعـد أن تنـاول وجبـه العشـاء، جلـس في الشرفـة عـلى كرسـيه وهـو شـارد الذهـن. أقبلـت عليـه عفـاف وهـي تحمـل صحنًـا مـن الحلـوى.

عفـاف وهـي عـلى وجههـا الفرحـة: الشرفـة ازدادت إشراقـا بوجـودك، يـا حـاج.

الشيخ وهو يضحك: والله زمان.

عفـاف: اتفضـل، يـا حـاج. وهـي تمـد الصحـن أمامـه. الشـيخ: ضعيـه عـلى الطاولـة.

ثم أردف: بارك الله فيكِ.

عفاف وهي مبتسمة: لماذا جالس منفردًا؟

الشيخ: تعرفي، يا عفاف، منذ عشرة أعوام وأنا لم أجلس هنا؟!

عفاف: نعم،... لكن ظروف عملك تجبرك على هذا.

الشـيخ: العمـل.. العمـل.. الإنسـان يفكـر دائمًـا في العمـل.. وعندمـا تراجعين ذاكرتـك وأجمـل لحظـات عمـرك تجديـن القليـل... لا اقلـل مـن أهميـة العمـل ولكـن لا بـد مـن أن ننتبـه لأنفسـنا، ولا نعطـي شـيئًا أكـبر مـن قـدره... أو نعطـي كل شيء قـدره.. نحصـل عـلى نتيجـة ترضينـا...

عفاف بنبره حزينة: العمر ضاع.

نظر إليها الشيخ بحنق وقال: سأبلغ الشرطة لتقوم بالبحث عنه.. وعقبها أطلق ضحكة عالية، وقام باحتضان عفاف، وهو يقول بنبرة عتاب: العمر ضاع وانا معكِ؟!

عفاف وهي في حضن الشيخ: تكفي هذه اللحظة لكي أعيش من اجلها.

الشيخ: الله يرضيكِ.. ثم أردف: أريدك في موضوع مهم.

عفاف تراجعت إلى الخلف، وهي تنظر إليه وتعطيه اإاشارة براسها لتؤكد له أنها منصتة لكي يطلق لسانه بالحديث.

الشيخ: ابن حمدان يريد أن يخطب سارة.

اتسعت عينا عفاف، وصمتت للحظات، وظهرت عليها الدهشة وقالت: حمدان الذي أبلغك هذا؟! الشيخ: نعم، كان معي أمس في الشركة.

عفاف: وما رأيك في ذلك؟

حك الشيخ لحيته وقال: لست مطمئنًّا لمجيء حمدان إلى الشركة... ويبلغني بذلك الأمر...

قالت عفاف بنبرة غاضبة: حمدان لم يكن لنا طيبًا.. ولا يمكن ان ندع سارة تعيش معهم في بيت واحد مهما يكن شأن ابنه.

الشيخ متبسما: وما رأيك في عمر؟

اتسعت عينا عفاف من الدهشة ولبثت صامتة بعض الوقت من هولة الخبر... ثم قالت: عمر؟ !

الشيخ: هل يوجد شيء يمانع؟

عفاف متلعثمة: لا قط.. لكن ما سبب تفكيرك في ذلك الآن؟

الشيخ وهو ينظر إلى الشارع... لا أفكر في الأمر... لكن مجيء حمدان أجبرني على ذلك.

وقفت عفاف وأمسكت بمتن الشرفة، ونظرت إلى الشارع وهي تقول: أنا لا أفهم ما يدور بذهنك ؟؟ وقف الشيخ خلفها وهو يهمس لها: كنت أظن أنك ستسعدين بذلك.

استدارت عفاف وأصبح وجهها في وجه الشيخ وقالت: أنا لم أفهم شيئًا... سوى أنك تريد خطبة سارة لعمر.

أومأ الشيخ رأسه بالإيجاب.

ثم أردفت عفاف: لكن الأمر ليس بهذه السهولة.. هناك عواقب نحن لا نعلم أهل عمر حتى الآن؟؟ أشك أنه لم يتصل بهم حتى الآن؟ كيف تأمن على ابنتنا الوحيدة مع شخص غامض؟

الشيخ لم يعجبه طريقة كلام عفاف عن عمر، اكتفي بالصمت والنظر إليها بنظرة استهانة.. ثم غادر الشرفة.

***

الغيرة

كان عمر يتسكع في شوارع المحروسة منفردًا، فهو يجد راحته في تجول الشوارع وحيدًا، اشتد به الجوع بعد أن تدفقت إلى أنفه رائحة الكريب، لمح على الجانب الآخر. يوجد مطعم تعلوه لافتة جوبا للكريب، عبر الطريق إلى الجانب الآخر قاصدًا مطعم الكريب، وما أن سلك الجانب الآخر إلا وقع نظره على سارة بصحبة شاب وفتاة، نظر إليها نظرة حارقة مع دموع متجمدة في عيون محمرة مثل الدم، وقف عمر متجمدًا أمام المطعم، وهو يتابع خطوات سارة حتى اصطدمت سارة به أمام المطعم.

سارة وهي مبتسمة: عمر.. ما الذي جاء بك هنا؟

نظر عمر إليها صامتا، ثم ألقى نظرة غاضبة على الشاب الذي يرافقها والفتاة الأخرى.

سارة تابعت حديثها وهي تقول: هذا عمر ابن عمي هز الشاب رفيق سارة رأسه، وقال: أهلا، يا عمر. ومدَّ يده ليصافحه، لكن عمر لم ينتبه له، وظل ينظر إلى سارة وهو يشتاط غضبًا.

ابتلعت سارة ريقها بصعوبة قبل أن تجد صوتها: ما بك، يا عمر؟

عمر: لا شيء.. يجب أن أذهب.. تريدين أن تأتي معي؟ قالها بنبرة

حـادة تشـيع بالغضـب ولم ينتظـر ردهـا.. أخذهـا مـن يدهـا وسـط دهشـة رفـاق سـارة...

سلك عمر طريق عكس ما سلكه رفاق سارة وظل صامتًا.

أوقفتـه سـارة وقالـت بصـوت حـاد: مـا الـذي فعلتـه ؟ عمـر بصـوت يملـؤه الغضـب: مـاذا فعلـت؟، ثـم واصـل كلامـه: مـن هـذا؟ وهـو يجتـز أسـنانه وفي عينيـه الغـيرة.

سـارة: هـذا أخـو فرحـة زميلتـي بالمدرسـة وأتى ليأخذنـا عقـب انتهائنـا مـن الـدرس قالتهـا وهـي عاقـدة ذراعيهـا عـلى صدرهـا.

ابتسـم عمـر ابتسـامة لا تخلـو مـن العتـاب. وقـال: يظهـر أن الامـر عـادي بالنسـبة إليـك.

سـارة: أولا، هـذه أول مـرة يـأتي معتـز هنـا... ثانيـا أنـا لسـت مخطئـة... مـاذا تريـدني أفعـل عندمـا أجبرنـا معتـز بقدمـه المفاجـئ؟

عمـر: كـمان حفظـتِ اسـمه.. قالهـا وهـو يعـوج فمـه. سـارة: عمـر أنـت محتـاج تتخانـق وخـلاص! قالتهـا وعقبهـا لاذت بالصمـت.

بعـد مـضي عـشر دقائـق مـن السـير في صمـت، قاطعهـم رجـل مسـن ممسـك بيـده وردة ملفوفـة بسـلفان:

يـا رب، تتجـوزوا، يـا أولادي. قالهـا متبسـما راجيًـا عطفهـم، مـد يـده ليعطـي الـوردة لسـارة، أفلتـت مـن سـارة ابتسـامة، وهـي تنظـر إلى رد فعـل عمـر، دس عمـر يـده في جيبـه وأخـرج نقـودًا وأعطاهـا للمسـن وهـو يهـز رأسـه: شـكرا لـك.

قرّبت سارة الوردة من أنفها.

فهمس: أيّكما يشمّ الآخر؟

قالت : شكرًا في تبسم وكسا وجهها احمرار طفيف خجلا.

سكت وابتسم لما لم يجد ما يقول.

فأردفت: لكن هذه الكلمة لا تخرج من صعيدي قفل. قالتها وإشارات بسبابتها إلى رأسه.

اخفض رأسه في الأرض هربًا من عينيها، ثم تابعت معاتبة عما فعله مع معتز.

قال بنبرة آسف: لم أدرِ بنفسي، وسأعتذر له في أقرب فرصة تجمعنا.. ثم واصل وهو ينظر إلى ساعته: هيا بنا الوقت تأخر... استقلوا تاكسي.. قاصدين المنزل.

بعد مضي اليوم، استلقى عمر على السرير شاخصًا في السقف. يشكر الله على هذه الصدفة، ولكن سريعًا ما تعكر صفوه عندما رمق وحشتني يا طارق غرس رأسه بين الوسادة ونام... بينما في تلك اللحظات كانت سارة جالسة على مكتبها تحاول أن تستوعب ما تقرأه، شاردة في الساعات الماضية تتذكر ابتسامته وتلحن، أيّكما يشمّ الآخر.

***

العصفورة

- اين عمر

البركة : لم يجئ حتى الآن، يا شيخ.

قاطعهم عمر: السلام عليكم.

- عـــليكم السـلام ورحمـه اللـه وبركاتـه... تأخـرت ليـه؟ : معـذرةً... قـد غصـت في النـوم حتـى الثامنـة صباحًـا.

ربـت الشـيخ عـلى كتفـه وقـال: تنـاول الفطـور وأنـا في انتظـارك بالمكتـب... وانصرف.

تنـاول عمـر الفطـور مـع البركـة، وعقبهـا ذهـب إلى مكتـب الشـيخ قـرع عمـر بـاب مكتـب الشـيخ قبـل أن يدلـف البـاب، ألقـى التحيـة.

أمـره الشـيخ بالجلـوس... دارت بينهـم مناقشـة حـول شـئون الشركـة... وذهـب الحديـث بهـم إلى المنافـس الحـاج حمـدان الـذي افتتـح المقـر الجديـد بالشـارع نفسـه.

عمر: رأيت المقر الجديد، وأنا قادم من المنزل

الشيخ، وما رأيك؟

عمر: لا يوجد شيء أقوله سوى أنه استعراض عضلات طس.

الشيخ وهو مشير بقبضة يده: سنظل الأقوى

***

في تلك اللحظات، ذهب البركة إلى مقر الحاج حمدان رمقه الحاج حمدان من بعيد، فتصنع الانشغال في هاتفه، أدلف البركة الشركة، وأشار بالتحية إلى حمدان الذي أشار بيد متكاسلة، وبعد مضي ربع ساعة.

- أهلا، يا بركة، في تبسم مصطنع.

البركة: أهلا، يا حاج.

- في اخبار جديدة ؟ قالها حمدان وهو يلتقط سيجارة من علبته، وضعها بين شفتيه.

البركة: بثقة وهو يضحك دائمًا آتي لك بالجديد وسكت... حينها فهم حمدان ما يطلبه البركة. كرمش ورقة فئة مئتا جنيه ودسها في جيبه.

- عمر. نطقها ببطء.

حمدان: عمر!! أنا طلبت يد سارة لمعتز رغم عنه وأمرته أن يذهب برفقة أخته إلى الدرس، ليراها كما طلبت.

البركة: إذا ابتعد عمر عن الشيخ ستنال ما تريده. شرد حمدان في تفكيره، ثم قال: تمام، يا بركة، إذا جد أي شيء أبلغني...

وأشار إليه تمهيدًا للانصراف..

وظل هو يتأمل فيما سيفعله شاردًا في دخانه.

- فعلت ما قلت. قالها البركة مبتسمًا.

- عـن مـاذا تتحـدث. قالهـا حمـدان وهـي ينظـر للفافـة التبـغ، أخـرج البركـة هاتفـه، وراح ينقـر بأصبعـه الغليـظ مثـل الطفـل... بعـد أن فتـح الفيـس بـوك أراهـا لحمـدان وهـو يقـول: هـذا حسـاب عمـر المزيـف الـذي طلبتـه.

هز حمدان رأسه وهو يتمتم: آها.. جميلة صورته بالمكتب.

- أنت تؤمر، يا حاج... تريد أن أراسل سارة؟

- لا... ليس الآن.

قاطعهـم صـوت اصطـدام سـيارة بالخـارج... فـر البركـة للخـارج بينـما حمـدان دون رقـم عفـاف في هاتـف البركـة مسـتغلًا الموقـف... طمعًـا في إحـداث لبـس بينـه وبـين الشـيخ... كـما أن البركـة جاهـلًا فلـم يلاحـظ شـيئًا..

عاد البركة مرة أخرى وقال:

- كما ترى، يا حاج... ثم قال مودعًا رافعًا يده.

- السلام عليكم.

***

الحادث

ذات يوم جاء الشيخ الشركة متأخرًا، وأبلغ عمر بنجاح سارة في الثانوية، وطلب منه أن يبلغ جميع العاملين أنهم سيتناولون العشاء بمنزل الشيخ.

قال عمر وهو يصطنع الابتسامة: ألف مليون مبروك، يا شيخ، نهار فرحها إن شاء الله.

وذهب ليبلغ العاملين. انتهي عمر من عمله وذهب إلى وسط البلد ليبتاع هدية ليقدمها إلى سارة، بينما العاملون ذهبوا إلى منزل الشيخ عقب انتهائهم من العمل. مكثوا قليلًا ثم جاء الشيخ. وسأل عن عدم مجيء عمر حتى الآن، لم يجب أحد ثم دخل إلى غرفته ولاحقته سارة، ثم قالت بنفاد صبر:

- لم أرَ عمر منذ فترة.

الشيخ : إنه موجود في الشركة دائمًا ليس لديه وقت للمجيء.

قالت سارة بحنق: دائما تلتمس له الأعذار، وكأنه ابنك.

الشيخ بهدوء: تغارين منه؟

لاذت بالصمت واكتفت بالنظر إليه.

ابتسم لها الشيخ وحضنها. ضحكت سارة وقالت بحنان: أين الهدية؟ لا تغفلني.

ووضعت سبابتها أمام أنفها.

قال لها: أغمضي عينيك.

غمضت عينيها وهي تنتظر المفاجأة.. تسلل الشيخ إلى الخارج وفتح الباب.

سمعت سارة صوت أقدام الشيخ ففتحت عينيها وهي تقول: بابا !!

الشيخ وهو يضحك: ما رأيك في الهدية؟

لم ينتهِ من كلامه وسارة كانت ممسكة به من الخلف، تشده إلى الداخل وهي تقول: لن أتركك حتى آخذ الهدية.

الشيخ وهو يضحك لم يستطع مقاومتها أو وصف مكان الهدية، وأطلق من فمه كلمات غير مفهومة، وسارة لم تفهم عما يتحدث، أشار إليها الشيخ بيده أن تهدأ لكي يخبرها عن مكان الهدية.

ذهبت سارة إلى باب الغرفة وأغلقته بالمفتاح وقالت: لن تخرج قبل أن تخرج الهدية.

استطاع الشيخ أن يلتقط أنفاسه، ثم أشار إلى المنضدة.

أسرعت سارة إلى المنضدة وجدت سلسلة ذهبية.

احتضنت الشيخ وقالت له وهي تضحك: الآن، تستطيع الخروج.

وفي هذه الأثناء، كان عمر قد انتهى من شراء الهدية، وبينما هو يمشي في طرقات وسط البلد شارد الذهن. كانت الإشارة خضراء للسيارات لكنه لم يلاحظ هذا، ولم ينتبه إلى أصوات الناس وهم يصيحون و يلوحون بأيديهم ولكن لم ينتبه لهم. وفي لحظة من اللحظات، سمع صوت فرملة عالية، ووجد نفسه على الأرض بين أقدام المتزاحمين، ولكنه لم يستوعب أي شيء. نقل إلى المستشفى، وهو لم يعِ بما يدور حوله.

الترقب !

القلق يسيطر على الأجواء ، الجميع على وجهه الصدمة. لا أحد يصدق الذي حدث لعمر، يتساءلون ما الذي أوجده في طرقات وسط البلد؟... تجلس سارة في نهاية الممر، وهي في ذهول والشيخ واقف بجانب باب الغرفة في انتظار خروج الدكتور للاطمئنان، والبركة رافع يده ويدعو الله بالشفاء، وعماد ممسك بالمصحف يتلو القرآن... وعفاف رافعه يديها تناجي الرحمن...

خرج الدكتور من العناية.

الشيخ: طمني يا دكتور.

الطبيب: خيراً، إن شاء الله.

الشيخ بخوف: هو جيد الآن؟

الطبيب: لا أكذب عليك فحالته حرجة للغاية، وقد يحتمل أن يصاب بـ amnesia temporary .

الشيخ والخوف على وجهة: تكلم عربي من فضلك.

الطبيب: فقدان ذاكرة مؤقت.

يشعر الشيخ بالخوف والقلق يسيطر على الموقف.

وضع الطبيب يده على كتف الشيخ، وقال: ادعِ له. ثم غادر.

الشيخ طلب من الجميع المغادرة لأن الوقت متأخر ولا فائدة في الجلوس. سارة تعترض على الشيخ وهي حزينة، وتطلب من الشيخ بانكسار أن تبقى بجانبه.

الشيخ: أنا سأبقى بمفردي. اذهبي، أنتِ، مع البركة.

سارة بضعف: لن أتركك لوحدك.

وهي تحدث نفسها... لن أتركك، يا عمر، سأبقى بجانبك.

وافق الشيخ على بقائها وطلب من الجميع أن يغادر. غادر الجميع وبقيت سارة برفقة الشيخ.

ظل ذلك المشهد شهرًا والشيخ وسارة يشاهدان عمر من خلف زجاج الغرفة. مر شهر، و سارة وعمر يفصلهم الزجاج. لم تمل من النظر إليه، تحملق فيه وفي ذهنها تتزاحم الأفكار والصور بشكل كبير. تتذكر عندما جلست أمامه في القطار أول مرة. تتذكره وهو يدفن وجهة في هاتفه، تتذكره، وهو يقف ليجلس أبيها، تتذكر رحلة الإسكندرية... تسمعه وهو ينطق حرف الـ ج ــ تتذكر كل دقيقة كان بجوارها.. تتذكر عندما صادفته أمام جوبا كريب.

***

الإفاقة

أذن الظُّهر وذهب الشيخ ليؤدي الصلاة، وظلت سارة ترتل القرآن. وفي هذه اللحظات، اهتزت يدا عمر. أسرعت سارة بالنداء للطبيب، وأخرجت هاتفها وأجرت اتصالًا بأبيها لكي تخبره بحال عمر. وفي هذه الأثناء، كان الشيخ يصلي في المسجد، يناجي الرحمن، ويتمنى الشفاء والعافية لعمر. أنهى صلاته ولسانه يذكر الله دائما، بينما هو يهم للخروج من المسجد، رن هاتفه وظهر اسم سارة على الشاشة. هاتفها وسمع أفضل خبر ممكن أن يتمناه، هرع للمستشفى وهو يحمد الله.

استأذنت سارة من الطبيب بالدخول، فأذن لها. تقدمت بخطى بطيئة، وهي تنظر إلى عمر. اقتربت من حافة السرير ولامست يدي عمر، وهي تبتسم

كأنها ملاك هرب من السماء.

فتحت عينا عمر على وجه سارة والدموع تخرج من منابع عينيها تشقق مجراها على خديها، وهي تتمتم: حمدًا لله على السلامة.

كانت المرة الأولى التي يرى فيها عمر دموع سارة

لم يمكثا إلا ودخل الشيخ العناية واقترب من عمر، وقال له: لم أكن أعلم أني أحبك بهذا الحد.

اكتفى عمر بالنظر إليه، ولم يستطع التحدث.

أدرك عمر من لهفة سارة والشيخ أن مجرد فتح عينيه بعد غيبوبة دامت اكثر من شهر كانت كافية لإسعادهما.

الشيخ بحنان: لا تتكلم.

حينها شعر عمر بأنه غير قادر على استمرار فتح عينيه فأغلقمها وذهب إلى ثبات عميق...

جاء البركة ووالدة سارة بعد أن اخبرهما الشيخ وسعد الجميع بالتحسن. تساءلت والدة سارة عن موعد رجوع عمر للبيت. أجابها الدكتور:

إن شاء الله قريبًا ، لا بد أن يظل تحت العناية حاليًا، وسيغادر إن شاء الله وهو واقف على قدميه.

توالت الأيام وتحسنت حالة عمر، امر الطبيب بنقله من العناية إلى غرفة عادية ليأخذ فترة نقاهة. نقل عمر إلى غرفة استعداد لخوض فترة نقاهة بعد تحسنه تاركًا العناية.

قامت سارة بفتح نافذة الغرفة، وكان الطقس لطيفًا ... والألطف والأجمل وجود سارة بجانب عمر، أراد عمر معرفه ما حدث ولماذا يرقد هنا؟

نهض الشيخ من مقعده، وقال: أنت صدمتك سيارة. الحمد لله. ربنا لطف بيك.

عمر: الحمد لله على كل حال.

لم يبالِ بوجود سارة.

سارة : من الواضح أن الذاكرة أثرت وحجبت وجودي أنا فقط.

ابتسم الشيخ وهو يقول: عمر لسا فايق وهذا وارد وهو لم يتعمد تجاهلك.

عمر يحدث نفسه: مَن هؤلاء؟

ساد الصمت برهة.

- نور ... من نور يا عمر؟ قالتها سارة بصوت عالٍ ووجه غاضب.

الشيخ بدهشة: نور!!

سارة : عمر عندما أفاق ظل يهلوس وسمعته يقول نور.

بينما هم يتحدثون كان عمر شاردًا في تفكيره ويحدث نفسه عن سبب وجوده هنا.

مر أسبوع وتحسنت حالة عمر وأصدر الدكتور أمرًا بخروجه بعد أن اطمئن عليه.

أنهى الشيخ التصاريح اللازمة، واتصل بالبركة استعدادًا لعودة عمر إلى البيت. جاء البركة ومعه عماد حملا عمر إلى السيارة، وعند خروجهم أقبلت ممرضة إلى الشيخ، وهي ممسكة بحقيبة يد وقالت:

هذه الحقيبة جاءت مع المريض في يوم الحادث. شكرها الشيخ وأعطاها بعض النقود، وهو يبتسم.

عاد عمر إلى البيت راقدًا في فراشه، والحقيبة على المنضدة بجواره، توالت الأيام وأصبح عمر يتمتع بصحة جيدة.

***

المتهم

في نفس الوقت، ذهب البركة إلى حمدان، لم يجده في المقر الجديد، حينها أدرك أنه سيجده في المكان المعهود، قهوة الجوهرة. وصل المقهى ووجده جالسًا وحيدًا في ركن منعزلٍ.

جلس على الكرسي المجاور دون أن يلقي التحية. وهو يشتاط غضبا : ليس هذا اتفاقنا.

حمدان لم يرد عليه، وسحب نفسًا عميقًا من شيشته ونفخ دخانه في وجه البركة وقال : كيف تظن فيَّ هذا؟ قالها بنبرة غاضبة.

البركة : تعني أنك ليس لك يد في حادث عمر؟ !

سمع حمدان كلمة حادث عمر، واعتدل في جلسته وردَّد كالبغبغان: حادث ! ! ... فهو ظنَّ في البداية أن الأمر متعلق برقم عفاف.

أدرك البركة أنه يصطنع التعجب وقال بحدة : إنكارك يدل على تهمتك.

قاطعهم النادل: تشرب إيه حضرتك؟

البركة نظر له بعصبية، وهمَّ ليغادر قبل أن يصفع المنضدة بيده. أصدرت صوت فرقعة عاليًا... كفيل بجذب انتباه الحاضرين.

***

الرفيق الأول

بعد شهر من رقدته في السرير، قرر عمر النزول إلى الشارع، جلب الحقيبة من فوق المنضدة أخذ منها النقود، ووجد بها سلسلة فضية تحمل اسم طارق. لم يبالِ ووضعها في الدرج، وأخذ هاتفه وتسلل السلم دون أن يراه أحد ، نزل عمر الشارع ولامست قدماه أرض الشارع بعد فراق شهور، ظل يسير، وهو يعبس في وجوه المارة، ولافتات المحالات والسيارات. وبعد فترة من السير، جلس على مقهى بلدي، وطلب من النادل شايًا .. ارتشف الشاي، وكان المقهى مكتظًّا بالوجوه الصعيدية، وسريعًا ما أدرك سبب وجودهم بعد أن صاح الجالسون أمام الشاشات يتابعون مباراة بترول أسيوط والألمنيوم، وعرف من خلال شخص بجواره أن الفائز في هذه المباراة سيصعد إلى الدوري الممتاز. سحب كرسيه واقترب من الشاشة بعد أن أُلقِيَ بسباب من الأشخاص الذين حجبت الرؤية عنهم بعدما بدل مكانه.. لم يعِ بشيء من حوله.

تابع أحداث المباراة، وعقبها انصرف الجميع وفض الزحام وبقي القليل من الناس. كان من بينهم عمر، جاء شخص وجلس بجواره، يسترق النظرات قبل ان يشعر عمر بنظراته، ويسأله إذا كان يشبه على شخصٍ ما.

- هل تشبه عليَّ ؟

كان السؤال مباغتًا للرجل. استغرق منه الأمر بعض اللحظات قبل أن يستجمع صوته: الحقيقة، لديَّ إحساس أني رأيتك من قبل..

هز عمر كتفيه وهو يقول: وارد.

- أنا عرفة. قالها وهو واضع يده على صدره وارتسمت على شفتيه ابتسامة.

عمر: أخوك عمر.

... حيا كل منهم الآخر. أشار عمر إلى النادل وطلب منه اثنين شاي.

انصرف النادل وأكمل عرفة حديثه ....

مر من الزمن ساعتان وهم يتحدثان عن الكرة والسياسة وانجرف الحديث إلى حياتهما الشخصية ... هم عرفة للانصراف.. بعدما لاحظ أنه لا يوجد غيرهما بالمقهى... وقام عمر من جلسته رافعًا يديه في تحية له.

عرفة: ما رأيك أن تبات معي الليلة، بما أنك غريب في هذا البلد.

عمر بعد تفكير استمر لحظات : هل تسكن بمفردك؟

أومأ عرفة بالإيجاب.

سار معه، وبعد أن ابتعدا عن المقهى، هتف عمر وقد تذكر شيئًا غاب عنه: الهاتف... تفحص ملابسه.. ولم يعثر على الهاتف... عادا إلى المقهى فوجداه مغلقًا... ثم ذهبا إلى منزل عرفة

***

كانت شقة عرفة غرفتين وصالة بها كنبة وتلفاز موديل ٢٠٠٠ ومطبخ به شعلة وعدد من الأطباق وملعقة؛ وبجوار حوض المياه، توجد منضدة خشبية متهالكة يعتليها سخان كهربائي، وفنجان أسود قد كان أبيض يومًا ما ، مثل أي سكن عزّاب...

تجـول عمـر الشـقة بنظـرة... ودلـف غرفـة النـوم التـي كانـت بهـا مرتبـة مفترشـة أرضـا ووسـادة لونهـا أقـرب إلى الشـحم، بجانبهـا نصـف كنـز بيبـسي يسـتعمله كأداة تسـاعده عـلى إطفـاء سـجائره، لفـت نظـره صـور بعـض لاعبـي الكـرة مقصوصـة مـن الجرائـد وملصقـة بالحائـط. اقـترب منهـا ووجـد مدونصـا تحتهـا أبـو تريكـة... بـركات.. حسـام حسـن.. متعـب...

- ما رأيك في قصري. قالها عرفة ضاحكًا.

رد عمر بهدوء: جميل، ولكن ينقصه شيء.

عرفة متسائلا: ما هو؟

عمـر: اثنـين مـن الخادمـات الأفريقيـات وحـارس يقـف أمـام تلـك الصـور لمنـع سرقتهـا. قالهـا وانــفجرا ضحـكًا. أطلـق عرفـه ضحكـة وقـال: بالإضافـة إلى ملكـة.... مضـت الليلـة ونـام عمـر وعرفـة...

***

أشرقت الشمس وغاب عمر

- الشمس أشرقت وعمر لم يأتِ من الخارج.. هكذا قالت عفاف للشيخ.

أخرج الشيخ هاتفه وطلب عمر: آلو.. أنت فين يا عمر... نعم.. هذا الهاتف وجدته في المقهى.. آه... شارع التحرير.. سأكون عندك في غضون لحظات...

أغلق الهاتف وهم للانصراف.

عفاف وهي واضعة يديها على صدرها:

ماذا حدث لعمر رفع الشيخ يده في إشارة:

لا تقلقي.. سيكون كل شيء على ما يرام..

سحب مفاتيح السيارة من على المنضدة وخرج من البيت في عجالة.

وصل إلى شارع التحرير واتصل بهاتف عمر مرة أخرى: آلو.. أنا في الشارع.. مقهي الفردوس. ثم أغلق الهاتف قبل أن ينهي الرجل حديثه... سار بالشارع يلتفت إلى لافتات المقاهي، وسأل بعض الأشخاص الذين كأنهم يصفون له خريطة مصر: لا أحب ذلك فإذا لم أعلم شيئًا.. يمكنني أن أقول لا أعرف بدلًا من توريط شخص تائه بمشقة إضافية.

بعد معاناة وصل الشيخ إلى المقهى متلهفًا على عمر.

- أين عمر؟ قالها الشيخ بعينين يملؤهما القلق.

النادل :

لا أعرف أين هو الآن.. أمس وجدت هذا الهاتف على الطاولة.. يبدو أن زبونًا قد نسيه... احتفظت به من أجل إعادته إلى صاحبه... اكتفى الشيخ بالنظر ولم ينبس بأي كلمة.. ربما غير قادر... أو لم يستوعب الموقف... يعلم أن عمر معرَّض لفقدان الذاكرة وعدم معرفة الرجوع إلى البيت مرة أخرى.

- يا أستاذ. قالها النادل وهو يشير بيده لكي ينتبه له الشيخ.

الشيخ: آهه، يا ابني... وما العمل الآن؟.. قالها بنبرة حزينة وضعيفة لا تستطيع فعل شيء.

النادل : قد يكون عاد إلى منزله.

الشيخ وهو يندب حظه: أنا والده، يا ابني.

النادل: قد أدرك أن المفقود ، ربما يكون غير عاقل أو به شيء من هذا القبيل... ثم أردف الشيخ : هذه صورته إذا جاء مرة أخرى، اتصل بي من فضلك وهذا رقمي، ومد يده بقصاصة ورق تحمل رقمه.

هز النادل رأسه بالإيجاب وتناول من يديه القصاصة.. قبل أن يعطيه الشيخ ورقة نقدية فئة مئة جنيه... وغادر المقهى بقلب يكسوه الحزن.

***

سجدة صلاح

بينما في تلك اللحظات، استيقظ عمر على أشعة الشمس المطلة من النافذة.. أغلقها ونام مرة أخرى... أفاق من نومه بعد الظهر... والتفت لم يجد عرفة بجواره... نهض وهو يعبث في عينيه، قاصدًا الحمام ، غسل وجهه وتوضأ، وهمَّ ليصلي ولكن لم يعرف اتجاه القبلة، ولم يجد سجادة، انتظر قليلا، واقترب من النافذة، فوجد عرفة قادم، ويحمل كيس قد يبدو مدون عليه الشبراوي.

دلف عرفه الشقة... ووجد عمر واقفًا أمام النافذة.

ألقى التحية عليه...

ابتسم عمر قبل أن يقول: أين سجادتك؟

لاذ عرفة بالصمت، وهو ينظر إلى شقته التي لا تملك سجادة، وقال في لهجة هادئة تشوبها سخرية خفيفة: هل رأيت سجادة البارحة؟

عمر بصوت حاد ساخرًا: سجادة صلاة، يا بني آدم.

ضرب عرفة جبهته مصطنعًا المفاجأة هاربًا من سؤاله وامتلأ وجهه بالخجل، ثم استطرد عمر: ما عليك، أين القبلة؟

اتسعت عينا عرفة وأخذ يتذكر آخر مرة زار فيها المسجد، لم تسعفه ذاكرته... ثم أشار بيديه في اتجاه غرفته، وقال: هذه القبلة.

نظـر إليـه عمـر وأدرك أنـه غـير واثـق، ومـن الممكـن أن يكـون متصنـع الإجابـة خشـية مـن الإحـراج.. فقـال: وكيـف عرفتهـا؟

قـال عرفـة بصـوت واثـق وهـو يشـيح بيـده تجـاه التلفـاز: يسـجد محمـد صـلاح في ذلـك الاتجـاه بعـد إحـراز الهـدف.

انفجـر عمـر ضحـكًا حتـى أنـه لم يقـدر عـلى الوقـوف واسـتلقى أرضـا وعينـاه ترغـرغ مـن الدمـوع إثـر الضحـك: أنـت بجـد! قالهـا واسـتكمل ضحكـه... تنـاولا الفطـور...

دلـف عرفـة المطبـخ ليعـد الشـاي وهـو يقـول: وأنـت عـلى مـا سـتنوي في الأيـام القادمـة؟

عمـر والصـوت يبعـد: لا أعلـم أنـا جئـت القاهـرة لأعمـل ، سـئمت مـن الصعيـد.

عرفة وهو حامل الشاي: اتفضل الشاي.

وجلس إلى جانبه: ما رأيك أن تعمل في مطعم؟

عمر: أي عمل حتى لو كان مربي دجاج.

وأطلق ضحكة تدل على كثرة همومه.

عرفة متسائلا : أنت متأكد أنك كنت في سوهاج منذ شهرين؟

عمـر: أنـا كنـت في سـوهاج منـذ ٤٨ سـاعـــة... ولكـن لمـاذا تسـأل عـن ذلـك؟

عرفـة بنـبرة حزينـة: كنـت أعمـل سـائق في شركـة ميـاه غازيـة، وذات يـوم كنـت في وسـط البلـد، ودهسـت شـابًّا مثلـك.

تغـيرت ملامـح عمـر ثـم واصـل عرفـة: خفـت ولم أتوقـف للاطمئنـان عليـه،

وشـجعني عـلى الهـروب المنـدوب الـذي يجلـس بجـواري. في اليـوم التـالي، تركـت العمـل خوفًـا مـن رصـدي....

ازدرد عمر ريقه بصعوبة وهو يفترس وجهه.. في صمت.

عرفة: يشبهك طبق الاصل

عمر: غير الموضوع، يا عرفة. ما هذا التشاؤم؟

***

كسرة القلب

رجع الشيخ إلى البيت وعينه ترغرغ الدموع، وصوته بهت من الصياح: يا عمر.. يا عمر..

التفتت عفاف إلى صوت الشيخ وقالت في حزن لم يأتِ حتى الآن... وبدر في ذهنها أن عمر قد فقد الذاكرة. جلست في حزن وهي تلوح بيديها في أسى، وتتمتم في حرقة.

- يا عمر .. وتسللت الدموع من خديها.

اقتربت سارة بخطى بطيئة وهي واضعة يديها على صدرها، تُمني النفس بأن ما سمعته ليس حقيقيا، وارتفعت دقات قلبها التي أصبحت مثل وقع الطبول، وتأكدت حينما وجدت والدتها تلطم على فخذها، و والدها جالس على الأريكة يدفن رأسه بين يديه.

ماذا حدث لعمر؟ قالتها بلهفة أُمٍّ على ابنها، ثم واصلت: هل مسه سوء؟

لم يرد عليها أحد، وكأنها تؤذن في مالطا...

اقتربت من عفاف وارتمت في حضنها وهي تتساءل عما حدث.

ربتت عفاف على ابنتها وهي تتمتم بحرقة، وتولول من جديد.

تراجعت سارة إلى الوراء وهي تقول: ارتاحي يا أمي.

ـ أرتاح ؟ وكيف لي أن أرتاح وعمر ليس موجودًا بيننا؟

تركهم الشيخ وهو يضرب كف على كف من القهر والحزن...

***

رن هاتفه وملئت شاشته. الحاج حمدان.

- آلـــــو!

- كيف حالك، يا بركة ، قالها وأطلق ضحكة تدل على الانتصار.

اجتز البركة أسنانه وهو يقول من تحت ضرسه: نحمد الله على كل حال.

- تستاهل الحمد.. ما أخبار الشيخ والعمل لديكم؟ قالها بشيء من البرود.

رد البركة بغيظ: الحمدلله على كل حال. ولم يعطه مساحة للحديث وأغلق الهاتف وهو يبصق عليه.. ثم همس في صوت لا يسمعه غيره: كلـــب. وضرب الحائط بقبضة يده.

- ماذا بك يا بركة؟ قالها عماد بصوت حاد يدل على أنه كان هنا وقت المكالمة وسمع كل شيء.

استدار البركة في ارتباك وهو يقول: لا شيء.

- جهزت طلبية فرع فيصل؟ قالها هاربا من فضوله المكتوم والذي يراه في عينيه.

***

تعمل في مطعم ؟

وفي تلك اللحظات،

أطلق عرفة ضحكة وهو يشعل لفافة التبغ وأخرج من سترته هاتفه وطلب أحد أصدقائه.. طلب منه أن يبحث عن عمل لصديق عزيز لديه.... أنزل عرفة الهاتف من أذنه، وقال لعمر: لقد وجدت لك عملًا وبه سكن.

عمر بسعادة : هذا أمر جيد، ولكن ماذا عن العمل؟

عرفة : لم أدخل في تفاصيل ولكنه مطعم، قد تكون مهامك في المطبخ أو في الصالة لتقديم الوجبات إلى الزبائن أو توصيل الطلبات للمنازل لو تجيد القيادة

أومأ عمر برأسه متفهما.. وهم ليصلي بعد أن سمع أذان الظهر.

- ما رأيك أن ترافقني إلى المسجد

- اذهب أنت.

ومد جسده على المرتبة بتكاسل واضعا يديه خلف عنقه.

***

بعـد يومـين... ودع عمـر رفيقـه الأول في القاهـرة أو يحسـبه كذلـك ، ودعـه بحـرارة وغـادر الشـقة قاصـدا المطعـم.

ذهـب عمـر مـع صديـق عرفـة شـوقي إلى مديـر المطعـم ، وسـاعده في تجهيـز بعـض الأوراق التـي طفـح كيلـه لاسـتخراجها.

القدوة

عمـل عمـر في مطعـم بالمهندسـين ، بمرتـب لا بـأس بـه ، كان الشـعور بالغربـة يطـارده دائمًـا ، حـن إلى الصعيـد بعـد فراقهـا ، حـن إلى التـي لم تعـترف بنجاحـه يومًـا، ولكـن هكـذا تكـون البدايـات في الغربـة حنـين واشـتياق إلى تـراب البلـد والأصدقـاء إلى عـادات و تقاليـد إلى لغـة حـوار، وبعدهـا يقسـو الفـراق....

عـرف عمـر في عملـه بالالتـزام والجديـة، ويتمتـع بسـمعه طيبـة، كان ملتزمًا في أداء صلاتـه، حسـن التعامـل مـع الآخريـن، أحبـه الجميـع، كان يتعامـل مـع الجميـع ولكـن لـه صديقـه المفضـل ذو الفقـار.

يتخـذ عمـر ذو الفقـار قـدوة .. كان دائمـا محفـزًا ومصـدرًا للإيجابيـة.. تعلـم منـه الكثـير؛ فمـن عـاشر قومًـا صـار منهـم وحمـل أفعالهـم ونقـل تقاليدهـم واعتـاد لسـانه بحديثهـم. ذو الفقـار حاصـل عـلى (بكالوريـوس شريعـة إسـلامية). تـرك أثـرًا كبـيرًا في عمـر.. تعلـم عمـر مـن خـلال الفـترة التـي قضاهـا رفقـة ذو الفقـار الكثـير.. كان عمـر ينظـر إلى أفعـال ذو الفقـار التـي دائمـا كانـت تثـير الجـدل.. ذات يـوم كان في المطعـم فنانًـا مشـهورًا. التـف حولـه جميـع العاملـين وأخـذوا يلتقطـون معـه صـورًا تذكاريـة.. عـدا ذو الفقـار. إنـه ليـس عاقًّـا.. ولكـن لا يبـالي مـن وجـوده في المطعـم.

ظل هذا المشهد يدور في ذاكرة عمر طيلة اليوم إنه امرؤٌ يدعو إلى الإعجاب.

ثم لم يلبث وشاهده يتحدث مع عميل ويهتم به وقبل أن يغادر العميل المطعم تصور معه.

عندما أتى الفنان، التقط الجميع معه صورًا تذكارية عدا ذو الفقار... توقع أنه لا يحب الصور، ولكن الآن ثبت عكس ذلك. إنه يلتقط الصور مع شخص مغمور!

في نهاية اليوم، سأل ذو الفقار عن ملاحظاته.

قال له: لم أتصور مع الفنان، لأني لست من معجبيه ولا متابعيه، وتصورت مع الدكتور (محمد نشأت) لأنني من أشد المعجبين بقلمه، وهو يعد من أفضل الكتاب المعاصرين.

حينها أدرك الاختلاف بين ذو الفقار وبين باقي الزملاء.

كان عمر يقيم بسكن خاص بالعمل.. ولكن تغيرت الأحوال بعد أن مضى شهران في العمل.. وأصدرت إدارة المطعم بأن من بداية الشهر القادم سوف يتم إلغاء الإقامة، وعلى المغتربين البحث عن مسكن أو تبليغ الإدارة بترك العمل..

استقبل عمر الخبر بنفس غاضبة لا تستطيع تغيير شيء... تحدث مع المدير ولكن بلا جدوى.

اشتكي عمر حاله إلى صديقة المقرب ذو الفقار.. حاول ذو الفقار أن يواسي عمر ويبث فيه الأمل وقال له: الأمر بسيط سوف نذهب غدًا إلى العم رجب وهناك نجد حلًا لمشكلتك.

في اليوم التالى، ذهبا إلى العم رجب.

العم رجب (حارس عمارة في الشارع الخلفي للمطعم). عند إقبال ذو الفقار وعمر إلى العم رجب.. رحب بهم.

أخبر ذو الفقار العم رجب (مشكلة عمر).

رجب: أهلًا بك، يا عمر.. ما بلدك؟

عمر: سوهاج.

رجب متبسما: مشكلتك اتحلت نحن صعايدة مثل بعض. أنا من المنيا.

فرح عمر وحمدالله.. وشكر العم رجب على سعة صدره.

رجب: ستقيم في غرفة بها ثلاثة؛ جمعة من الفيوم، وإسلام من البحيرة، وكريم من المنيا، وأنت ستكون الرابع.

عمر: خيراً، إن شاء الله... أنت مشكور على مجهودك، يا عمي.

خطا عمر بقدمه داخل الغرفة وأبدى إعجابه بها رغم الجدران المنقوشة والمساحة الضيقة، ولكن مع سوء ظروفه وتعاسة حالته يراها جنة.. ولفت انتباهه عبارة منقوشة: «أغنى الناس هو من يرضى بالقليل». تبسم عمر عقب رؤيتها، وحمد ربه بنفس راضية وقنوع.

اتفق عمر مع العم رجب على الموعد الذي يجلب فيه أغراضه الشخصية.. ثم تحدث عن المبلغ الذي يتقاضاه العم رجب مقابل الإقامة بالغرفة.

رد العم رجب بوجه غاضب، وهو يلوم عمر عن حديثه وقال له: يا ابني، هذه الغرفة ليست للإيجار، إنها ملك لمالكي العمارة والثلاثة الذين يقيمون فيها يعملون بهذه العمارة. ولست أنا الذي يستغل ضعف موقفك.. أنت ستقيم دون علم الملاك.. أعلم أن هذا خطأ، ولكن أنت تستحق أن أعمل ما بوسعي لمساعدتك..

يـا عمـر، اذا كان بيـدك أن تسـاعد أحـدًا لا تتأخـر لحظـة ، فـإن اللـه يسـخرك لخدمتـه.. وأنـا سـخرني اللـه لخدمتـك، وأنـت أعظـم هديـة مـن ذو الفقار.

تعجـب عمـر مـن حديـث العـم رجـب، وحمـد اللـه عـلى ذلـك. وقـال أنـا لم أتوقـع ذلـك الاسـتقبال، جـزاك اللـه خـيرا.

غـادر ذو الفقـار وعمـر.. وعـاد كلا منهـم إلى مسـكنه. اسـتطاع عمـر في مدة قصـيرة بجلـب محبـة الجميـع في العـمارة.. كانـت هـذه تجربـة جديـدة لـدى عمـر تحمـل تحديـات وفرصًـا. أمـا التحديـات تتمثـل في ضيـق المـكان وكـثرة الأشـخاص بالغرفـة وبهـا مرحـاض واحـد يسـتخدمه الجميـع ومـا أسـوأ مـن أن تكـون في المرحـاض ويطـرق عليـك شـخص مـن خلـف البـاب ويسـتعجلك، لأنـه يريـد الدخـول، لـكي يذهـب إلى عملـه في أسرع وقـت.

والفـرص تتمثـل في قـرب العمـل مـن السـكن فـلا يبالي عمـر من الاسـتيقاظ قبـل عملـه إلا بنصـف سـاعة، إنـه قـادر عـلى أن يسـتغرق ثلاثـين دقيقـة بـين نهوضـه مـن عـلى السريـر والوقـوف أمـام المطعـم.

كان عمـر ينظـر إلى هـدوء المـكان ومنظـر الزهـور أمـام العـمارة. إنـه حقـا مبهـج ويسـتحق أن يقيـم بهـا دائمـا بعكـس مـا كان عليـه المـدة السـابقة عندمـا كان يقيـم في حـي شـعبي. كان يسـمع صراخ البائعـين في الشـارع طيلـة النهـار.. والأجمـل في إقامـة عمـر بالعـمارة هـو الفطـور الجماعـي؛ إنـه حـرم مـن الأكل الجماعـي بعـد تركـه لأهلـة، ولكـن بعـد قدومـه إلى هنـا حظـي بفطـور كل يـوم مـع العـم رجـب وبقيـة العاملـين.. عمـر كان ينظـر إلى الوضـع مـن عـين متفائلـة راضيـة بالقليـل، ويتذكـر دومـا تلـك العبـارة «أغنـى النـاس هـو مـن يـرضى بالقليـل».

تعلـم عمـر الكثـير مـن هـذا الحـدث، عندمـا أخـبره المـشرف بإلغـاء الإقامـة حـزن كثـيراً وهـا هـو الآن سـعيد بذلـك.

المجذوب

في البداية، كان يعمل بالمطبخ ولكن ذات يوم كان يوجد نقص في عمال الصالة، فطلب منه المشرف أن ينزل في الصالة ، بدلا من المطبخ ، نزل الصالة في سعادة بالتجربة الجديدة، ولكن حدث ما لم يتمناه ، شاهد زبونًا خليجيًّا ومعه بنت ملابسها توحي أنها راقصة يدفع ١٢٠٠. احتقر نفسه حينها وقال محدثا نفسه: أنا الشاب المجتهد احصل على ١٢٠٠ شهريا. بعد تعب وشقي ، يكفي غسيل الملابس كفيل بأن أحصل على مرتبي دون عمل .. وهذه الراقصة تتناول العشاء بثمن مرتبي. ياه على حال الحياة.

صار بعد هذا المشهد أكثر عصبية مع الزملاء، أدرك ما سبب تكشيرة العم صابر الطاهي التي لا تفارقه، ولأول مرة استلذ الأغاني الشعبية التي يسمعها.. أدرك جزءًا من حقيقة ابتسامة العاملين المصطنعة لم يكن يدركها.. شرد تفكيره في حال العم صابر مرتبه ١٨٠٠ معه خمسة أطفال وزوجته كيف يعيش!! ؟.. صار لا يطيق الحياة.. وبعد مضي اليوم.. غادر المطعم. وبينما هو يمشي في شارع جامعة الدول العربية وينظر إلى السيارات الفارهة. أقبل إليه مجذوب وطلب منه سيجارة، شاح بيده رافعًا صوته: هي نقصاك أنت كمان.

تقبل المجذوب كلماته بوجه حزين ونفس مكسورة واستدار، وانصرف في هدوء، وعمر في ذهول يُمني النفس في العودة إليه ويطلب منه السماح.. وقال محدثا نفسه: كيف أعامل رجلًا في سن أبي بهذه الطريقة ما ذنبه في حالتي.. هل هو سبب في وصولي لهذه الحالة أم لأنه ليست له قيمة في مجتمعنا؟

انطلق وقلبه ينزف من منظر المجذوب وهو منكسر.. كيف فعل هذا.. كيف صار ذلك الشخص الذي يبغضه..!! هل الفقر يجعل النّاسَ سيئة الخلق!!! لم يستطع العودة إلى سكنه صار يكره التفكير في أي أمر.. جلس على مقهى، وطلب شايًا ثم اشتهى الشيشة. لأول مرة طلب شيشة، وبينما هو يطلب الشيشة من النادل قال: ناسي حاجة أخرى؟ تأسف له.. يعلم أنه يلمح أن يطلب كل حاجته من أول مرة.

شرد بتفكيره. هل أقدر أن أعامل زبونًا في المطعم بذلك الأسلوب !! كانت الإجابة استحالة.. لما أنا المقهور دائمًا سواء كنت عاملًا أو عميلًا !! أدرك معنى المثل الشعبي. المال بيغير النفوس.

***

في اليوم التالي، قابل ذو الفقار، وقص له ما حدث البارحة. تعاطف معه، وقال: لا تلُمْ نفسك أكثر من ذلك. كفاك الشعور الذي أحسسته.. ثم إن الأرزاق المادية والمعنوية من عند الله، أترفض ما قسمه الله لك؟ ثم إن هذه مرحلة في حياتك لا تدعها تبث فيك العنف والسلوك السيء، ساند نفسك في هذه المرحلة، وتحلَّ بالصبر، يا صديقي، وتذكر أن هذه الأيام ستسعدك ذكرياتها بعد أن تصل قمة أحلامك وتحقق أهدافك. لا مكان لليأس في مشوارك..

ثم تابع حديثه، وهو يضحك: هي الرقاصة حلوة؟

ابتسم عمر وأحس برضا داخلي، وانشرح صدره بعدها. قال: انظر إلى هاتفي نظر عمر إلى الهاتف. ووجد منشورًا على الفيس بوك.

ربي نسألك هدوء النفس، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، وتوفيقا يرافق خطانا، وسعادة تملأ قلوبنا.

ثم أردف: تذكر هذا الدعاء دائمًا.. و اليوم لازم تصالح المجذوب..

- حاضر، يا صديقي، ربنا يراضي قلبك.

***

تساءل كيف يصالح المجذوب؟.. هل يتذكره يتذكر من بغضه من قبل.. وكيف يلاقيه.. هل سيلقيه بالحجارة؟

مضى يومه.. واتجه إلى شارع جامعة الدول العربية يبحث عن المجذوب.. لم يجده.. قرر الانتظار أمام محل أحذية. ظل يتفحص الأحذية. وساءت حاله بعد أن شاهد الأسعار، ثم أقبل إليه المجذوب.. استقبله بسعادة وأمسك بورقة نقدية لا يعلم قيمتها، ولكن يعلم أن أكبر ورقة نقدية يحملها قيمتها عشر جنيهات... قدمها للمجذوب.. وتفاجأ من رده كان بالرفض، وأشار إليه بعلامة توحي أنه يريد سيجارة.. توجه إلى أقرب كشك واشترى علبة سجائر.. قدمها للمجذوب وهو مبتسم... أمسك بها وأخذ سيجارة وأعاد العلبة ولم يتقبلها. لا يعلم لماذا ولكن أشار إلى شخص يقف بعيدًا.. علم أنه خائف أن يأخذها.. ثم يفقدها بعد أن يغادره... أخذها من يده، وجلس بجواره، ثم تحدث معه، وهو يعلم أنه لا يدرك ما يقول، ولكن الحديث في هذه الحالة افضل من الكتمان. قال بصوت عالٍ: أصعبُ شيء.. أن تمرّ على محل أحذية، وترى راتبك مكتوبًا على حذاء.

رمقه المجذوب، وهو يعبث الدخان في إهمال، ثم هم للانصراف.

***

قلة حيلة!

بعد أسبوع.

ذهب عمر إلى المطعم كالعادة ، أمضى يومه دون أن يرى ذو الفقار وسأل عنه أحد المشرفين وعلم منه أن ذو الفقار تم نقله إلى فرع المعادي. حزن عمر على فراق ذو الفقار. إنه سيفتقد الكثير ولكن ما باليد حيلة... بعد مغادرة المطعم ،أجرى مكالمة صوتية مع ذو الفقار، واطمأن على حاله وأبلغه بحزنه الشديد، ورد ذوالفقار بأنه يحترم تلك المشاعر ويقدرها، وأنه سعيد بتلك المكالمة التي تبدو له هدية منحها عمر له. وأكمل حديثه: أنا كنت أرغب في البقاء ،ولكن هذه سياسة المطعم.

عمر: أتمنى لك عملًا سعيدًا في الفرع الجديد، وأن تكون على قدر المسؤولية وبالتوفيق في القادم.

ذو الفقار: أشكرك بشدة على هذه المشاعر.. وإن شاء الله دائمًا على اتصال... في رعاية الله.

عمر: في رعاية الله.

أغلق عمر هاتفه، وحزن على فراق ذو الفقار، ولكن تذكر موقف إلغاء الإقامة وما عقبه من خير.

عـاد عمـر إلى السـكن، والتقـى بالعـم رجـب وأخـبره بمـا حـدث لذوالفقـار.. تحـدث العـم رجـب مـع عمـر ورفـع مـن روحـه المعنويـة وقـال لـه: ذو الفقـار تعرفـت عليـه مـن خـلال الدكتـور سـامي صاحـب الصيدليـة هـذه. وأشـار بيـده إلى الصيدليـة التـي في العـمارة. وأتمنـى لـه التوفيـق في القـادم..

تناول عمر الفطور، وبعدها رقد في نومه.

***

ذهـب عمـر إلى المطعـم في الليـل وهـو عـلى غـير الحـال . لم يعـد الشـغف في الذهـاب إلى المطعـم موجـودًا. فهـو خـسر أعـز أصدقائـه البارحـة، لم تكـن تلـك المـرة مثـل المـرات السـابقة، مـضى يومـه في العمـل. وكان ينظـر إلى عقـارب السـاعة ويقـول في نفسـه: أسرعـي بالـدوران، أيتهـا العقـارب، فلـم يعـد ذو الفقـار موجـودًا.

واستمر على ذلك أسبوعًا، وبعدها أصبح الأمر عاديًّا.

***

ادفع

وفي يـوم، وهـو عائـد إلى العـمارة، قـرر الذهـاب إلى الصيدليـة قبـل أن يدخـل إلى العـم رجـب. توجـه إلى الصيدليـة راغبًـا في رؤيـة الدكتـور سـامي، وعنـد إقبالـه نحـو البـاب وجـد لافتـة مـدون عليهـا: ادفـع. ظـن عمـر أنـه لا بـد مـن أن يدفـع تذكـرة للدخـول فتراجـع في خطـوات بطيئـة. وفي ذلـك الوقـت، شـك الدكتـور سـامي في أمـره، وذهـب سريعًـا نحـو البـاب، فـزع عمـر مـن هـذا الموقـف، وبـدون إدراك للموقـف وقبـل أن يمسـك الدكتـور مقبـض البـاب، هـرب عمـر مسرعًـا. زاد شـك الدكتـور بعـد هـذا التـصرف، وظـن أنـه لـص .

عـاد عمـر إلى العـمارة مـن البـاب الخلفـي، وهـو يلتقـط أنفاسـه بسرعـة، ودخـل إلى غرفتـه قبـل أن يلاحظـه أحـد واسـتلقى عـلى السريـر، وظـل يفكـر في الموقـف وتسـاءل في نفسـه: لمـاذا فعلـت ذلـك؟!!!

وظـل يحـدق في سـقف الغرفـة، ونـدب حظـه عـلى تلـك الأيـام، ولكـن تذكر فضـل اللـه، أن بعـد كل ضيـق فرجًـا، و دارت التسـاؤلات في عقلـه وذهـب في النـوم وهـو لا يـدري بنفسـه.

ظـل عمـر فـترة هكـذا، يتسـحب مـن البـاب الخلفـي كلـما عـاد مـن عملـه.

***

ذات يوم، التقى عمر بالعم رجب أمام المطعم.

العم رجب: صباح الخير، يا عمر.

عمر: صباح الخير.

العم رجب: تعالى معي.

عمر: إلى أين ؟!

العم رجب: سنحضر الفطور.

أمسك بيده، وهو يسير نحو مطعم التابعي الدمياطي، تذكر عمر جده عندما كان يأخذه إلى الحقل، ونظر في عينين العم رجب، وقال: أنا أحبك كثيراً، يا عمي.

رمقه العم رجب بحنان، والتفت حوله فلم يجد ما يظن به، فهو ظن أن عمر يعاكس فتاة.. ثم أطلق ضحكة واعترف له عما دار بذهنه، ابتسم عمر وهو يقول: لم أعاكس فتاة يومًا.

نظر إليه العم رجب بمكر وهو يقول: عليّا أنا، يا عمر. وتابع كلامه بغمزة من خلف نظارته. ابتسم عمر. وامتلأ قلبه بالسعادة وهو يقول: وصلنا إلى المطعم، هات النقود وقل لي ماذا تريد؟... ألقى العم رجب نظرة داخل المطعم، فوجد فتاة تقف خلف جهاز الحاسوب الكاشير، فقال في هدوء: راقبني، يا عمر.

عمر في دهشة: نعم .

ذهب العم رجب في اتجاه الفتاة وتحدث معها، وهي اخذت تضغط على الشاشة الموضوعة أمامها وتبتسم ، وتهز رأسها بين الحين والآخر، ثم اختتمت اللقاء برسم ابتسامة على شفتيها، تناول العم رجب من يديها إذن صرف الطعام، وذهب إلى شباك يقف خلفه رجل وأعطاه اياه، ثم

نظر إلى عمر وهو يغمز... بعد الانتهاء، ألقى التحية إلى الفتاة، وذهب برفقة عمر إلى العمارة... وهو يقول لعمر: تعرف هذه الفتاة أنا اللي مربيها، وكانت تجلس على حجري وهي طفلة وكنت أعتني بها كثيرا لأنها يتيمة. والدتها تعمل في إحدى الشقق بالعمارة، وهما تقيمان في الجيزة في شقة أبيها، وحاليا هي في ثالثة ثانوي تجاري.

هز عمر رأسه ليعطيه إشارة أنه يستمع إليه بإنصات ثم قال: وأنا الذي ظننت أنك تغازلها . أطلق العم رجب ضحكة وهو يقول: كنت أقول لها مثِّلي إني حبيبك أمام هذا الفتى.

ضحك عمر وهو يقول: أنت لم تكن سهلا، يا عمي. ارتبك عمر عندما وصل العمارة فلم يستطع الإفلات هذه المرة، لا يمكنه أن يمر من الباب الخلفي هذه المرة، استسلم إلى الواقع... مر بسرعة من أمام الصيدلية خشية من مقابلة الدكتور، ترك عمر العم رجب ليعد الفطور وراح لغرفته ليستبدل ملابسه، ثم عاد للعم رجب ليتناول وجبة الفطور. وبينما هو داخل تفاجأ بوجود الدكتور سامي يتحدث مع العم رجب، فزع عمر من رهبة الموقف ولم يعد يستطيع التصرف من شدة خوفه، التفت إليه الحاضرون العم رجب ورفاقه في العمل بالإضافة للدكتور سامي وسيدة في الأربعين من عمرها. تفضل، يا عمر، لا يوجد غرباء، فهذا الدكتور سامي الذي حدثتك عنه من قبل وهذه أم رانيا التي رأيتها في المطعم.

هكذا قال العم رجب ، ابتسم عمر للحاضرين وألقى السلام، ثم همت أم رانيا للقيام، لكي تلحق بعملها، وجلس عمر بجوار العم رجب، وهو يحاول الهروب من نظرات الدكتور سامي التي تلاحقه منذ حضوره، تناول الجميع الفطور، ثم ذهب الجميع ليؤدي عمله، وظل العم رجب والدكتور وعمر، ثم طلب العم رجب من عمر أن يصنع الشاي.

بعد الفطور يرتشف الشاي ويشعل السيجارة ويحلق عاليًا.

هكذا يفعل العم رجب....

قدم عمر الشاي للدكتور سامي والعم رجب وهم للذهاب إلى غرفته، ولكن تحدث معه العم رجب وتساءل: لماذا لم تعد كوب شاي لنفسك كما تفعل دائما ؟ أجاب عمر بتوتر: متعب قليلًا. ثم قطع حديثه الدكتور وقال: اجلس، يا عمر. أريد التحدث معك.

حينها ابتلع عمر ريقه وجلس على أحد المقاعد الصغيرة بجوارهم.

الدكتور وهو ينظر إليه: لماذا فعلت ذلك؟. .

عمر باستنكار: عن ماذا تتحدث؟. .

قال الدكتور بمكر: أنت تعلم ما أقصده جيدًا.

نظر عمر للعم رجب، ثم عاد النظر إلى الدكتور وقال بخفوت: أنا كنت ذاهبًا إلى الدكتور سامي لأتحدث معه بشأن ذو الفقار، ولم أكن أحمل مالًا، وعندما وصلت إلى الباب وجدت لافتة «ادفع»، تظاهرت أنني أبحث عن شيء، ثم جاء الدكتور نحوي سريعًا، وعندها هرعت للخلف مسرعًا.

ثم تابع ببراءة طفل:..... هذا ما حدث..

أطلق الدكتور ضحكة عالية وهو يقول داعبًا: ادفع الآن.

نظر العم رجب في حنق وهو يقول: لم أعِ شيئًا حتى الآن !!

تنهد عمر وقال: سردت الحدث كما هو.

قال الدكتور في تبسم: عمر ظن كلمة «ادفع» المدونة على الباب أنها ادفع مالًا، ولكن المقصود منها ادفع الباب.

عقب العم رجب ساخرًا: الآن أدركت لماذا تمر من الباب الخلفي.

قال عمر بغرور مصطنع: هكذا نهاية الصراحة

تبسم الدكتور وهمَّ بالانصراف وقال ضاحكا: لا بدَّ أن تأتي لتدفع ما عليك.

ابتسم عمر لدعابة الدكتور وقال: إذن لن أخطو الصيدلية أبدًا.

انصرف الدكتور وعقبه عمر.

***

العشق

ذهب عمر لعمله، ومضى يومه كالمعتاد...

وعاد إلى العمارة قبل ميعاده المعتاد بساعة ونصف الساعة... وهو عائد إلى العمارة وجد المجذوب أمام العمارة يحمل كوب شاي. حدق عمر في تفاصيل كوب الشاي، ثم دخل العمارة وألقى السلام على الحاضرين، ثم لمس غلاية الشاي ليتحسسها، وتأكد أن المجذوب كان هنا.

ثم سأل العم رجب عن المجذوب.

فطلب العم رجب منه إعداد كوب شاي.. أعد عمر الشاي وقدمه للعم رجب، وجلس بجواره، هذا المجذوب اسمه جمال ويشتهر بـ جيمي منذ فترة جاءت سيارة مرسيدس وبها جماعة، أبلغوني أنهم من محافظة قنا وتربطهم صلة قرابة بالمجذوب، حاول أحدهم أن يصحب المجذوب معهم، ولكنه أبى وهرب منهم، عرفت من خلالهم أنه حاصل على بكالوريوس تجارة...

وعندما سألتهم عما حل عليه ليصبح بهذا الحال

ردت امرأة من بينهم، وقالت: كان يحب فتاة وعندما رفض والدها

زواجهم، وبعد محاولات عدة لم يفلح جمال من أن يظفر بها، بعد فترة تفاجأ بزواجها من ابن عمها رغما عنها، منذ ذلك الحين فقد عقله.

اندمج عمر مع أحداث القصة، وانتابه شعور بالعطف تجاه جمال أو جيمي كما يلقبونه

***

بشكل غير رسمي

دفع الشيخ باب المكتب في عنف وهو يتحدث في الهاتف:

ـ كيف لم تجده حتى الآن... حضرتك أنا بلغت جميع حبايبي في القسم... بدون فائدة... اعمل محضر؟!!.... لا لا لا.... الموضوع هيتم بشكل غير رسمي.... دي خدمة يا عصام بيه ... حاضر ....حاضر... سلام...

وضع الهاتف على مكتبه وارتمى على مقعده في إعياء، أخذت أصابعه تنقر على سطح المكتب في حركة عصبية توحي بتوتره، حينها أدلف عماد المكتب، رفع يده في إشارة لتحية الشيخ.

رسم الشيخ ابتسامة مصطنعة: خير، يا عماد؟

ازدرد عماد ريقه بصعوبة وهو يقول بتلعثم:

متى سيأتي عمر؟

الشيخ بغضب: بعد قضاء إجازته مباشرة. هل يوجد شيء؟!!

نكس عماد رأسه وهو يقول: أنا عارف أن عمر ليس بإجازة... و ..

قبل أن ينطق بحرف آخر وقف الشيخ من جلسته وهو يقول: ماذا عرفت، يا عماد؟ قالها برجاء وتوسل.

عـماد أشـاح بنظـره إلى النافـذة وهـو يقـول: سـمعت مكالمـة مـن البركـة يتحـدث مـع شـخص آخـر.

الشيخ متسائلا: ماذا سمعت، يا عماد؟ تحدث بوضوح أكثر.

عماد : البركة له يد في حادث عمر.

اتسعت عينا الشيخ، وقال في ذهول: أنت متأكد من ذلك؟

عماد: نعم... متأكد.

***

ما ذنبي !

كان العم رجب يجلس في مكتب الأمن الذي يقع في واجهة العمارة ، ليراقب بدوره حركة السكان، ويرشد الغرباء، فالعمارة سكنية و تجارية أيضًا....

- صباح الخير، يا عم رجب.

- صباح الخير، يا عمر ... لقد عدت مبكرا اليوم ؟

عمر: المدير يعاملني بحسن دائما... واليوم تركني أغادر باكرًا...

هز العم رجب رأسه متفهمًا، ثم أردف عمر: هل توجد مشكلة إذا جلست هنا، وأشار إلى مقعد بجوار العم رجب.

العم رجب: تفضل، يا عمر..

ثم قاطع حديثهم رنين التليفون، رفع العم رجب السماعة: صباح الخير... اتفضل، يا فندم.. لحظة واحدة حضرتك...

أبعد السماعة من على أذنه واشار إلى كومة من قصاصات الورق وهو يقول: اجلب قصاصة، يا عمر.

جلب عمر القصاصة ثم أعطاه العم رجب قلمًا، ووضع السماعة مرة أخرى على أذنه وبدأ يقول: حليب خالي الدسم .. لتر فيروز أناناس...

طبق بيض.. كيس عيش.. لتر عصير بيتي بطعم البرتقال.... سلام.

ثم وضع السماعة على التليفون، وأخذ الورقة من عمر ونظر فيها، ثم عاد النظر إلى عمر وهو يقول: ما هذا الخط السيء ؟؟..... هذا تعليم صرف صحي.

وأمسك بقصاصة من الورق ودون عليها بعض الكلمات من وحي الخيال، ثم قدمها إلى عمر، الذي أخذ ينظر إليها دون أن ينبس بأي حرف.

ثم طلب العم رجب من عمر إ كوب شاي، وسيقص عليه ما حدث له وهو طالب في الإعدادية، بعد أن أعد الشاي وجلسا معًا.

العم رجب وهو يرتشف الشاي: كنت في المدرسة الابتدائية. أكملت بها ستة أعوام، ثم انتقلت بمدرسة في البندر- المدينة. كان يوجد ثلاثة معي من نفس قريتي، تعرفنا على أصدقاء جدد، وتبادلنا الزيارات، كانوا يفرحون عندما يقتادون الحمار، ويجلسون وسط الزرع، فهم يفتقدون ذلك في المدينة. بعد أول أسبوعين، حدثت مشاجرة بالمدرسة، كنت وقت الحدث بالحوش، رأيت أصدقاء بلدي هم أبطال المعركة، وتفاجأت عندما وجدت الفريق الآخر هم الذين تبادلنا الزيارات معهم من يومين، خيم العنف على الحوش، وأنا كنت أحمل حقائب أولاد بلدي، بعد هذه الأحداث وقعت ضحية من الفريق الآخر إثر طعنة بالبرجل أداة هندسية.

اتسعت عينا عمر وهو يبدو مندهشا..

ـ اها ، البرجل يستطيع الطعن، فهو كان حينها غليظ ليس مثل اليوم.

هز عمر رأسه متفهمًا... ثم أردف العم رجب : بعد هذا الحادث، فر الجميع من حولي، وتجمدت مكاني عندما رأيت المدير يتقدم نحوي وأمسك بي، واتجهنا صوب مكتبه، التقيت هناك برفاق بلدي وعليهم آثار الشجار العنيف، همهم المدير بكلمات مهينة بعد أن طلب الشرطة،

وتسللت إلينا صوت أقدام من الخارج تمنيتها أقدام خالي الذي يعمل في هيئة التدريس. ودارت أكرة الباب المعدنية، وبالفعل وجدت خالي أمامي، توشوش مع المدير قبل أن يطلق سراحنا، ذهبت إلى البيت في خوف وارتباك. وفي اليوم التالي، كنت بالقاعة أستمع لشرح المدرس، وجاء الناظر يهتف الطالب رجب محمد، الطالب محمد قدري، الطالب محمود حسن، وقفنا نحن الثلاثة وعلى وجهنا الارتباك، أشار إلينا أن نتبعه إلى مكتبه، ذهبنا بأقدام مرتجفة.

قرع أحد أصدقائي الباب: سمعنا هتاف.. ادخل ـ تسللنا واحدًا تلو الآخر بهدوء...

رمقنا بعينه في نظرة تشيع بالأسي تجاهنا، ثم مد يده ليعطي كل منا ملفًا. أمسكت الملف بيد مرتعشة وقمت بفتحه، لا يقبل هذا الطالب في أي مدرسة حكومية أو خاصة لسوء سلوكه وعليه ختم شعار الجمهورية.

تملكت نفسي حتى لا تتجاوز الدموع رموش عيني ...

تأثر عمر بأحداث قصة العم رجب وهو يقول مواسيًا: الحمد لله على كل شيء.الحمد لله على كل حال.

قالها العم رجب وهو يربت على كتف عمر: كنت أحب التعليم جدًا.. رغم سوء ظروفنا، تعرف، يا عمر، كيف كانت حقيبتي.

هز عمر رأسه بالنفي وهو يضحك فكيف سيعرف وهو لم يشاهد... .. واصل العم رجب حديثه وهو يقول: حقيبتي من صنع يد والدتي فهي عبارة عن شكارة أسمدة تم تحويلها إلى حقيبة. كنت أحمل الحقيبة ومدون عليها الشركة الدولية للأسمدة والكيماويات.

وأطلق ضحكة عالية.

وتبادل عمر معه الضحكة.

***

التوعد

ـ معك رصيد؟

البركة بدهشة : نعم.

ـ أعطني هاتفك، أريد أن أجري مكالمة.

ـ تفضل.

أمسك الشيخ بالهاتف، وهو يتحدث مع البركة في أي موضوع إضاعة للوقت لكي يتسع له التفحص في سجل المكالمات، أخذ يقلب في آخر المكالمات، فتفاجأ عندما وجد رقم عفاف من بينهم. ازدرد ريقه قبل أن يعطي الهاتف دون أن يلقي بأي كلمة. انفرجت شفتا البركة: لماذا لم تجرِ المكالمة ؟!

الشيخ في تبسم مصطنع: يبدو الوقت ليس مناسبًا، وقال محدثا نفسه: نعم إنه ليس مناسبًا.

ودارت سيناريوهات عديدة للموقف. أخرجه صوت البركة من أفكاره: هل تريد شيئًا آخر؟

رفع يده في تكاسل بإشارة الرفض، هم البركة ليغادر، وتابعه الشيخ بنظراته والدماء تغلي في عروقه.... ولكن لا يريد أن يفسد مخططه.

فص ملح وذاب

عـاد الشـيخ إلى البيـت، امسـك بهاتـف عفـاف مـن ورائهـا، ظـل يتفحصـه فلـم يجـد أي أثـر لرقـم البركـة، وضـع الهاتـف عـلى الطاولـة، قبـل أن تـأتي عفـاف حاملـة الطعـام، تنـاولا الطعـام في صمـت. اسـتغربت عفـاف لتصرفـات الشـيخ، فقـد أصبـح قليـل الـكلام، يقـضي أوقـات فراغـه في النـوم مـن بعـد غيـاب عمـر. تغـيرت تصرفـات الجميـع حتى سـارة لم تسـلم مـن ذلـك. أصبحت تسـجن نفسـها في غرفتهـا طيلـة الوقـت، لا تشـاركنا في تنـاول الطعـام، لا نعلـم كيـف تسـير في الدراسـة، وهـي مقبلـة عـلى مرحلـة الصـف الثالـث الثانـوي مرحلـة مهمـه للغايـة.

ـ كيف حال العمل، يا حاج؟

قالتها لكي تفتح حديثًا معه.

نظر إليها في صمت قبل أن يرد مقتضبًا: الحمد لله.

أدركـت أنـه لا يريـد أن يتحـدث مـع أحـد. اكتفـت برسـم ابتسـامة عريضة، ثـم تابعـت: سـارة بحاجـة إليـك في تلـك الأيـام ، قبـل بـدء الدراسـة.

اكتفى الشيخ بهز رأسه، ثم هم للنوم.

***

الندم على ما فات

بينما كانت سارة في غرفتها تقلب الصفحات، وهي شاردة في ذكريات تجمعها بعمر، راضية بأنه يرتبط بفتاة أخرى (نور) سيكون أفضل مما هي عليه الآن. تمسك بهاتفها وتبعث برسائل ما بين الماسنجر، واتس أب، ورسائل ناصية،... تكتب ما يروق لها، دون خجل، دون خوف، تعاقب نفسها عن التأخير، تستمع إلى أغانٍ لم تشعر بها من قبل. انحدرت عواطفها، وأصبحت تستمد قوَّتها على العيش من ذكرياتها... لم تفقد الأمل.. لم تتحدث مع أحد فهي تدرك النتيجة.. لا تحتاج إلى المواساة أو الشفقة من الغير. راودتها أفكار غريبة، ظنت أن والدتها لها يد فيما يحدث لعمر، ولكن لا تملك دليلًا يدينها. فكرت ذات مرة بأن والدتها قد تفعل ذلك بدافع إبعاده عن طريقها. لم تعطِ لأفكارها مساحة للشك. اكتفت بالكتمان.

رن هاتفها ليخرجها من أفكارها، كان رقم فرحة يضيء الشاشة.

ـ آلو، إزيك، يا فرحة؟

ـ الحمد لله... أنتِ ما أخبارك؟

ـ يا رَب ديما... الحمد لله بخير.

ـ أنـا حجـزت مـع الأسـتاذ أيـوب في مـادة الكيميـاء، والأسـتاذ حنفـي في الفيزيـاء، وفي مـادة الأحيـاء بفاضـل مـا بـين الأسـتاذ عصـام والأسـتاذ فيصـل.

ـ تمام .. سأنضم إليكم.

ـ هذا يسعدني بالتأكيد.

ـ أراكِ قريبًا.

ـ إن شاء الله.... سلام.

ـ سلام.

***

كما أراد

ـ يـا حـاج، أنـا لسـا في ثانيـة جامعـة، وبصراحـة أنـا عمـري مـا فكـرت في سـارة كزوجـة.

ابتسم حمدان وقال في هدوء:

ـ كما تريد، يا معتز.

تنحى معتز ليقبل يد أبيه وهو يقول: ربنا يحفظك لينا.

وامتلأ وجهه بالسعادة والسرور.

ربـت حمـدان عـلى كتـف معتـز وهـو يقـول في نفسـه: كويـس أنهـا جـاءت منـك. ثـم قـال بصـوت واضـح: ولكـن لمـاذا اتخـذت هـذا القـرار.. لم تعجبـك؟

معتــز بتلعثــم: أنــا ذهبــت إليهــم كثــيراً للــدروس مــع فرحــة، ولكنهــا متعلقــة بشــخص آخــر.

حمدان وهو يضحك: ومَن سعيد الحظ هذا؟

أخذ معتز يعتصر ذاكرته قبل أن ينفرج فمه وينطق: عمر.

هز حمدان رأسه، كأنه يدرك الأمر، ثم قال: كما ترى، يا معتز.

***

أجمل أيام عمرنا ... شباب وبنات

في هـذه الأيـام، غـاص عمـر في عـالم افـتراضي فيـس بـوك. وأصبـح مسـئولًا في مجموعـة تضـم شـبابًا وبنـات... تسـمى أجمـل أيـام عمرنـا... شـباب وبنـات

عـرف الكثـير مـن الشـباب والبنـات في مـصر وخارجهـا، وتعلـق بفتـاة كأي مراهـق، كانـت تلـك الفتـاة تصغـره عامـين، وتقيـم بالشرقيـة، تطـورت العلاقـة بينهـما، وأصبـح كل منهـما يشـارك الآخـر في يومـه، يكتـب كل أحـداث يومـه عـلى شاشـة هاتفـه ويرسـلها للآخـر، يندمجـان في خيـالات وأحـلام بعضهـما. وربطتهـما علاقـة حـب، كان عمـره قصـيرًا، بعـد أن عـاد أحـد أقاربهـا مـن الخـارج وتقـدم لخطبتهـا. في ذلـك الحـين، طلبـت مـن عمـر أن يـأتي لخطبتهـا، ولكـن كيـف يـأتي في تلـك الظـروف، وهـو حتـى الآن لم يرهـا أو يـرَ صورتهـا. وانتهـت علاقتهـما عنـد هـذا الحـد. مـر عمـر بعدهـا بمرحلـة مريـرة للغايـة، فلـم يكـن لديـه القـدرة ليخـرج مـا بداخلـه لأحـد، ولم يتحمـل مـا بداخلـه. ولكـن سريعًـا مـا دارت الأيـام ولم يبـقَ إلا القليـل مـن الألم، واحتفـظ بحاملـة مفاتيـح مـدون عليهـا اسـم سـماح ابتاعهـا لأنهـا تحمـل اسـمها.

تصنع المجد

بينما كان عمر يلهو في عالم الفيس بوك، كانت سارة تخوض المرحلة الأخيرة في الثانوية العامة ....

كانت تضع صورة عمر خلفية شاشة هاتفها، تنظر إليه من الحين والآخر.

يزعجها دخول والدتها المفاجئ في غرفتها، فتجدها تحدق في هاتفها، وترمي لها اتهامات بعدم المسؤولية.

كانت تقول لوالدتها: ادفن وجهي بالساعات في كتبي، وعندما أسترق نظرة إلى هاتفي أتفاجأ بوجودك.

تبتسم والدتها وتقول بمرح: لا عليك، أثق بقدرتك على اجتياز الامتحان، والحصول على أعلى الدرجات.

***

صدفة !

كان عمر يجلس مع العم رجب وباقي العاملين بالعمارة يتسامرون، جاءهم صوت أم رانيا مبشرًا بنجاح ابنتها رانيا في الصف الثالث الثانوي التجاري.

عمت السعادة، وخرج شخص منهم بعد أن أخذ نقودًا من أم رانيا ليبتاع بيبسي لجميع الحاضرين.

هنأها عمر على تفوق رانيا، وتساءل على الخطوة القادمة.

أم رانيا: أنا، يا ابني، كنت أفضِّل جلوسها في البيت تنتظر ابن الحلال، لكنها تريد أن تستكمل تعليمها.

عمر بنبرة استهزاء أكثر مما هي سؤال: كيف تستكمل وهي حاصلة على دبلوم ؟ ؟ أحست أم رانيا بعدم تصديق قولها، فقامت بإخراج جرنال، وأشارت إلى العنوان الرئيسي. يطمح طلاب الدبلومات والمعاهد الفنية من كل عام في حجز أماكنهم بكليات الهندسة والتجارة والزراعة، ثم أشارت إلى سطر تحت العنوان.

يتم السماح للطلاب الحاصلين على الشهادات الفنية نظام الثلاث سنوات بعد الإعدادية من تخصصات (صناعي - تجاري - زراعي - صناعي شعبة ترميم آثار - موسيقى) بمجموع درجات ٧٠٪ على الأقل في مجموع المواد النظرية فقط في شهادة الدبلوم بالتقدم بأوراقهم إلى مكتب تنسيق القبول بالجامعات.

اندهش عمر وهو يقول: أنا حاصل على دبلوم تجارة، هل يمكنني..؟

وقبل انتهائه من حديثه قاطعته أم رانيا:

ـ كم مجموعك؟

هرش عمر رأسه، ثم قال بلهفة: ٧٢٪.

قالت أم رانيا بنبرة حزينة: يمكنك أن تعمل معادلة، لكي تضمن دخولك الجامعة.

هز عمر رأسه متفهمًا وظهر اليأس على وجهه.

أمسك العم رجب بالجرنال والتفت إلى العنوان فوجد مقالًا آخر يتحدث عن المعادلة. دقق في الجرنال، فوجد تاريخ بدء دراسة المواد الأسبوع القادم، وعلى الطلاب الراغبين بخوض امتحانات المعادلة التقدم بالأوراق لشؤون الكلية ثم قال لعمر: معك أوراقك؟

هز عمر رأسه بالنفي وقال: لماذا؟

قال: لكي تدخل امتحان المعادلة، وأنت وحظك!

عمر متسائلا: وما الأوراق المطلوبة؟

أمسك العم رجب بالجرنال، وقص الصفحة التي مدون عليها الأوراق المطلوبة وهو يقول: لا يوجد وقت عليك أن تسافر البلد، وتأتي بهذه الأوراق قبل نهاية الأسبوع.

ـ والمطعم ؟ قالها عمر مستغربا.

ـ لا تشغل بالك ، سأذهب ليلًا وأبلغ المدير بالأمر، وهو لن يحتجَّ على ذلك، علمت منك من قبل أنه يحبك، أليس كذلك؟

عمر مؤكدًا: طبعًا.

***

الماضي

بعـد أن تـرك العـم رجـب تذكـر المـاضي .... حينـما كان عائـدًا مـن عملـه بالخرسـانة إلى البيـت، بعـد طـرق البـاب بقدمـه لأنـه كان ممسـكًا ببطيخـة ابتاعهـا مـن إحـدى العربـات المتجولـة آمـلا في رسـم الابتسـامة عـلى أهـل داره، فوجـئ بخالـه يفتـح لـه البـاب وممسـكًا بيـده اليمنـي عصـا غليظـة، تسـاءل في نفسـه عـن تلـك العصـا لمـاذا يحملهـا ؟

هل خاله مستعد لخوض معركة؟

لم يعـطِ للأمـر أهميـة ورسـم ابتسـامة عـلى شـفتيه وهـو يقـول: أهـلًا، يـا خـال.

لم يـرد خالـه... وجـاء صـوت والدتـه عـن بعـد بكلـمات غـير مسـموعة، ولكـن عندمـا اقتربـت منـه، اسـتطاع تمييـز آخـر جملـة: لمـاذا، يـا عمـر؟ هـل ترضاهـا عـلى أختـك؟

بعـد سـماع تلـك الجملـة لم يـرَ أمامـه شـيئًا. فانقـض عليـه خالـه ضربًـا، وهـو في استسـلام تـام، هـل يمـد يـده عـلى خالـه!!، بـل وصـل الأمـر إلى أنـه لم يحـاول إيقافـه، حاولـت والدتـه إيقـاف خالـه وجـاءت محاولاتهـا دون جـدوى.... بعـد أن تركـه خالـه. هـرب عمـر دون أي مقاومـة مـن خالـه، فهـو فعـل بـه كل شيء منـذ لحظـات، فـكان خالـه يمنـي النفـس بأنـه يهـرب مـن يـده، ونـدم أنـه لم يسـتجِب لمحـاولات أختـه....

غـادر عمـر الـدار، وذهـب إلى صديقـه أدهـم بعـد أن اسـتراح.... أخـبره بمـا حصـل.. وجـاءت نصائـح صديقـه بـأن يـترك البيـت ويسـافر.

لمعت الفكرة في ذهن عمر، فهو كان يلح دائما على فكرة السفر، والعائق الوحيد الذي يقف أمامه هو أنه رجل الدار بعد سفر والده إلى الخليج.

فكر بجدية في خوض تجربة جديدة، وشجعه أدهم على تنفيذ مراده، فاستطاع أدهم أن يسرق حقيبة منهكة من والده، بالإضافة إلى تذكرة سفر.

كما أن نور، أخت عمر، استطاعت توفير الملابس بحجة غيابه عن البيت بضعة أيام....

بعد أن أعدت نور أغراضه، أخذها عمر ليلًا دون أن تعلم والدته.. قضى الليلة عند أدهم، ومع أذان الظهر خرج من الدار مستقلًا توك توك أحد أصدقائه خشية من مواجهة أحد أقاربه في الطريق. وعقب ذلك، استقلَّ ميكروباصًا قاصدًا محطة سوهاج.... وصل محطة سوهاج في الساعة الثانية ظهرًا...

عاد عمر من ماضيه متسائلًا: ما سبب اعتداء خاله عليه؟!!... لم يجد جوابًا مقنعًا...

قاطعه جمعة السائق وهو يقول: هيا، سآخذك في طريقي، فالعم رجب أخبرني بسفرك اليوم.

رد عمر بشيء من الرجاء: انتظرني، ربع ساعة.

جمعة: لكن لا تتأخر عن ذلك.

بعد ربع ساعة، ركب عمر السيارة برفقة جمعة.

جمعة: أين حقيبتك؟

عمـر: العـم رجـب فضـل ذهـابي دونهـا، لأن الأمـر لـن يكلفنـي سـوى أسـبوع، ولا داعـي للمشـقة.

تفهم جمعة وجهة نظر العم رجب وأكد على أفضليتها...

بعـد وصولهـم إلى المحطـة، ودَّعـه جمعـة بامتنـان، وألقـى عليـه بعـض النصائـح تجنبًـا للسرقـة، وغيرهـا مـن هـذا القبيـل .

***

شششششاي

في محطة مصر، رصيف خمسة كان عمر يقف في انتظار القطر القادم من الإسكندرية، ولسوء حظه ركب قطارًا عاديًّا. حمد الله أنه لم يجلب حقيبته معه، وشكر العم رجب الذي أرشده إلى ذلك ، لم يجد له مقعدًا كانت العربة مكتظة بالركاب ، نظر إلى موضع الأمتعة فوجد أناسًا نائمين، الممرات مليئة بالركاب. وجد أطفالًا تحمل جرادل مليئة بزجاجات البيبسي الممتلئة ويصيحون: « حاجة ساجعة بيبسي». لم يلبث كثيرًا فوجد شابًّا يحمل أكواب شاي مصنوعة من البلاستيك وإبريق شاي ضخمًا ويصيح: «اشششششاي..اشششششاي».

وقف القطار في محطة العياط، وتكدس الركاب عند الباب، ومنهم من اخترق النوافذ، ظل الموقف لمدة خمس دقائق، فرغت المقاعد. هم سريعا وجلس على مقعد بجوار النافذة، أطلَّ من خارج النافذة فوجد الناس تحتشد البوابات، كأنهم كانوا أسرى وأُطلِقَ سراحهم. تحرك القطار ببطءٍ، وكأنه حزين على مغادرة تلك البلدة، ولم يطل في تفكيره إلى أنه تأكد أن هذه أقصي سرعة له، ولم يكتشفها من قبل لأنه كان يلهو في الشاي.

«حاجة ساجعة بيبسي»

تكـرر المشـهد في كل محطـة ولكـن دون تكـدس، ولكنـه تعجـب مـن أمـور الـركاب فمنهـم مـن يحمـل بطاطـس، هـل البطاطـس شـحت في بلـده؟!! أم أنـه جـاء بهـا مـن مـكان مقـدس!! كان يتفنـن في المـبررات التـي تحتمـل أنـه يجلـب بطاطـس في القطـار. ويضحـك.

***

المحامي

أنا رجب عم عمر.

المدير: أهلًا بك، تفضل..

رجب: شكرًا لذوقك... عمر سافر اليوم إلى الصعيد في ظروف طارئة... وسوف يغيب عن العمل أسبوعًا.

المدير، وهو يشير بيده مستغربا..: لماذا لم يبلغني البارحة؟

رجب: الأمر الذي ذهب من أجله لم يكن يعلم به حتى الساعة ١١ صباحًا ... وقد أبلغني أنه يملك رصيد إجازات.

المدير: لا توجد مشكلة لديَّ ... عمر من الشخصيات القليلة التي تعتني بالعمل.

رجب: شكرًا لسعة صدرك...

ورفع يده وهو يقول: السلام عليكم.

المدير: وعليكم السلام.

***

براءته

بعدما عاد من سفره لم يهنأ أهل داره بساعة يقضونها معه، ولم ينعم هو بساعة يستريح فيها.. حين فرغ من التسليم عليهم، جاء هتاف أصدقائه من الخارج يتسلل مسامعه، ... جلس مع أصحابه، وزار الملعب الذي شهد طفولته، وخطت قدماه كل شبر في قريته، بعد أن انتهى من جولته، رجع البيت فوجد الأكل ينتظره، تذكر حينها الغربة ومشقة إعداد الطعام. تناول الأكل وسط عائلته، جلس أمام التلفاز بعد الانتهاء من الطعام، وهنا جاء عتاب والدته:

- لماذا تركتنا، يا عمر؟... لماذا فعلت بأمك ذلك؟.... أين كان قلبك عندما قررت الرحيل؟!!!

عمر بحزن: لماذا ضربني خالي؟!

والدته بحسرة وندم على ما فات: عندما ذهبت إلى الشغل، جاءنا خالك ، وبينما نحن نتناول الطعام، طرق الباب وكان أحد الجيران... فتح له خالك وأنا كنت جالسة على الطبلية.. سمعت صوت الطارق يعلو ولم أعِ عن ماذا يتحدث... وبعد أن غادر، اخبرني خالك بأنه يتهمك في علاقة مع ابنته، كما أنه يؤكد على قوله من خلال صورة على هاتفه تحوي دردشة كما يقولون. لم أفهم شيئًا سوى أنك على علاقة بها...

هـمَّ عمـر للدفـاع عـن نفسـه... ولكـن أسرعـت والدتـه بنطـق براءتـه وقالـت: بعـد غيابـك بأسـبوعين، علمـت مـن والـدة الفتـاة أنهـا تعرضـت إلى الظلـم، وأنـه لا توجـد علاقـة مـن الأسـاس، وكان هـذا الفعـل ملفقًـا مـن إحـدى صديقاتهـا المقربـات...

لم أعـترض عـلى مـا وصلنـا إليـه بسـببهم واكتفيـت بالدعـاء للـه. أُمنّـي النفـس برؤيتـك مـرة أخـرى ...

قاطعتهـم نـور وهـي حاملـة الشـاي وأخـبرت والدتهـا بمسـاعدة عمـر في الهـروب، ولكنهـا لم تعلـم أنـه سيسـافر، وأوضحـت: سـاعدته مـن أجـل الذهاب إلى صديقـه أسـبوعًا حتـى يـروق بالـه ويعـود إلى رشـده....

والـدة عمـر: حاولـت الاتصـال بـك، يـا ابنـي ولكـن دون جـدوى، فـكان هاتفـك مغلقًـا دائمًـا. هكـذا قالـت والدتـه... مضـت الليلـة وعـم الفـرح في الـدار بعـودة الغائـب...

في اليـوم التـالي، هـم لإعـداد أوراقـه.... لحسـن حظـه، وجـد كل أوراقـه في البيـت، ولم يتكلـف الأمـر سـوى الذهـاب إلى الأسـتاذ رومـاني في الأسـتديو لالتقـاط صـورة حجـم ٤×٦... ولم يخـبر أحـدًا عـلى مـا ينـوي فعلـه، لأنـه يخـشى الفشـل.... ويحـب أن يعمـل في صمـت، وأخـبر والدتـه كذبًـا أنـه أخـذ تلـك الأوراق لـكي يحصـل عـلى عمـل بإحـدى الـشركات المرموقـة في الوطـن.... فالمـصري بعادتـه يقـدس الوظيفـة.

***

الاستقالة

عـاد عمـر إلى القاهـرة قبـل نهايـة الأسـبوع ذهـب إلى جامعـة القاهـرة، قـدم أوراقـه، وعـاد إلى العـم رجـب.

اليـوم قدمـت أوراقـي وفهمـت مـن الزمـلاء أن المعادلـة تتوجـب الفـراغ للمذاكـرة ، كـما أنهـا فرصـة نهائيـة إمـا أن أدخـل سـور الجامعـة أو أرتـدي ملابـس الجيـش مبكـرًا.

العـم رجـب: إذن، عليـك أن تـترك العمـل. عمـر بـأسى: وتتطلـب نقـودًا أيضًـا.

العم رجب متسائلا: كم تتطلب؟

عمـر: لا أعلـم بالتحديـد، ولكـن تتطلـب بعـض المـلازم وأوراق امتحانـات سـابقة، والأهـم مـن ذلـك قـوت يومـي.

العـم رجـب وهـو يربـت عـلى كتـف عمـر: لا عليـك مـن هـذا، اذهـب إلى المطعـم وأبلـغ مديـرك بالاسـتقالة.

عمر هز رأسه وهو يقول: حاضر.

***

ذهـب عمـر إلى المطعـم ... قابـل المديـر قبـل أن يبـدأ في العمـل، أبلغـه بقـراره دون أن يفصـح عـن خصوصيتـه. احـترم المديـر رغبتـه وطلـب منـه أن يعمـل لثلاثـة أيـام، حتـى يتـم توفـير بديـل، وتمنـى لـه حيـاة سـعيدة وممتلئـة بالإنجـازات.

بعد ثلاثة أيام، ودَّع المطعم بحب وامتنان

***

جامعة القاهرة

ذهب عمر إلى الجامعة... التقى بفتاة أمام بناية مدرجي (ج & د) ، لم يجد أحدًا يجلس منفردًا إلا هي، اقترب منها في حرص وقال: لو سمحتِ هي طلاب المعادلة في أي مكان يُوجَدون الآن؟

لم يكن مرَّ بتلك التجربة من قبل ولم يعرف ما ينبغي أن يقوله في مثل هذه الظروف.

الفتاة استقبلت كلماته بغرابة، وتبدو أنها مرت في مرحلة مماثلة، فأجابت ببرود: انتهت اليوم المحاضرات.

عمر في تردد: ماذا أخذوا اليوم؟

قالت الفتاة في نفسها: يظهر أنه لم يدرك أي شيء، ثم وجهت حديثها له بعد صمت قصير، وهي ممسكة بهاتفها: هذا جدول المحاضرات.

أمسك عمر هاتفها بعد أن استأذنها: واطلع على الجدول، وهو يزدرد ريقه. المحاضرات بدأت من يومين وهو لم يحضر.

راقبت الفتاة رد فعله ثم أردفت: يبدو أنك لم تحضر من قبل؟

- الحقيقة لم أعلم بنزول هذا الجدول.

- لا عليك من شيء ستجد المحاضرات على الفيس بوك.

تمتم شاكرًا، وهم للمغادرة ثم أوقفه صوت الفتاة التي قالت: هل تعرف ماذا ينبغي عليك فعله اليوم؟

هز رأسه بالنفي.

طلبت منه رقمه، ثم قالت له: سأحدثك الليلة على الفيس بوك...

شكرها لحسن تعامُلها، وانصرف.

***

بنت الحارة

اتصلت سماح بإحدى صديقات حارتها في الشرقية.

- تعرفين قابلت من اليوم؟

قالتها سماح وهي تحت تأثير الذهول حتى الآن.

هاجر مداعبة: أبو تريكة؟

سماح بنبرة حازمة: قابلت عمر.

ألقت هاجر نظره إلى هاتفها لتتأكد أن من يحدثها سماح ثم أعادت الهاتف مرة أخرى على أذنها: هل تمزحين؟

- لا، وربّي. ثم واصلت: تأكدت عندما اخذت رقمه ولم أكتفِ بذلك، وجدت صفحته على الفيس بوك.

هاجر متسائلة: وماذا ستفعلين؟

- لا أدري ماذا سأفعل؟ ولكن هو لا يعلم أنني سماح.

هاجر بنبرة ممتعضة: من السهل أن يعرفك من الفيس بوك!!

سماح : لن يستطيع معرفتي، فأنا حدثته من حساب آخر.

تمتمت هاجر في تفهُّم وقالت: صحيح. مصر غرفتين وصالة.

واطلقت ضحكة عقبها.

ضحكت لمداعبتها وقالت: أنا لن أقترب منه، جئت إلى هنا للمعادلة لا غير ذلك.

هاجر لم تصدق لسان سماح في تلك المرة، ولكن لم تبين ذلك، واكتفت بالموافقة على قولها.

***

اللمبة

واظـب عمـر عـلى حضـور جميـع المحـاضرات، ودون كل كلمـة خلـف الدكتـور، وسـاعدته سـماح في المذاكـرة، كان يتناقشـان في أمـور الدراسـة كثـيراً.

لم يـزِد تقـرُّب سـماح مـن عمـر غـير أنـه توقـع جميـع مـن اسـمهم سـماح يحملـن قلوبًـا طيبـة، ونفوسًـا راضيـة...

اقتربـت أيـام الامتحانـات، وزاد عمـر مـن حماسـه في المذاكـرة، فالعـم رجـب لم يبخـل عليـه بـشيء قـط... كان يعـد لـه الشـاي والقهـوة حرصًـا عـلى عـدم إهـدار وقتـه.

والجميـع تعـاون معـه مـن نظـرة الرأفـة إلا العـم رجـب كان ينظـر لـه نظـرة الأب لابنـه...

ذات يـوم، كان عمـر يريـد أن يذاكـر وقتًـا أطـول، ولكـن رفـاق غرفتـه جـاءوا إلى النـوم، فاقـترح أحدهـم أن يذاكـر أمـام بـاب العـمارة.

حمـل عمـر حقيبتـه وخـرج، وجلـس بجـوار شـجرة، وهـو يحـدق النظـر إلى كراسـته فـلا توجـد إضـاءة، النـور يتـسرب إليـه مـن لمبـات الشـارع. ظـل هـذا الوضـع لمـدة أسـبوع، وتبقّـى يومـان عـلى خـوض الامتحانـات. وكان عمـر يجلـس نفـس جلسـته في جـوف مدخـل العـمارة، وقفـت بجـواره سـيدة تسـير مـع كلبهـا وسـألته: مـاذا تفعـل؟

أجاب عمر بشيء من الخوف: أذاكر.

ابتسمت السيدة وقالت مشجعة: ربنا معاك.

***

في اليوم التالي، أبلغ العم رجب أحد رفاقه أن يأتي بعمر.

جاء عمر بخطى مرتجفة، وهو يتذكر تلك السيدة العجوز وظن أنها وراء هذا.

ألقى عمر التحية، ومد يده ليصافح العم رجب بامتنان.

ثم قال العم رجب بعد صمت قصير: متي ستمتحن؟

رد عمر وهو يفكر في تلك السيدة: غدًا، إن شاء الله.

العم رجب: بالتوفيق إن شاء الله. ثم أخرج بطاقة من سرواله ومعها ورقة نقود فئة مائتا جنيه وهو يهتف: هذه البطاقة تستطيع أن تزور مكتبة المصري، وهناك ستجد مكانًا مناسبًا للمذاكرة.

ابتسم عمر وأطلق تنهيدة وهو يقول للعم رجب: كنت أظن أنني سببت لك مشاكل.

احتضن العمُّ رجب عمرَ، وهو يقول له:

- يجب أن تجتاز الامتحانات ولك هدية.

عمر متبسما: ربنا يحفظك لي.

***

ليلة الامتحان

في ليلة الامتحان، كان عمر يجلس تحت الشجرة، ومرت عليه نفس السيدة وهي تقول: لماذا تجلس هنا؟!

رد عمر موضحًا: المكتبة تغلق أبوابها الساعة العاشرة مساءً، والصباح لديَّ امتحان.

ردت العجوز ناصحة: وما قدرتك في إلمام المادة التي ستمتحنها صباحًا.

عمر: الحمد لله ملمٌّ بها.

- إذا كنت ملمًّا، فنام باكرًا لتسطيع أن تركز في الامتحان.

عمر بتلعثم: ولكن...

- نصيحة مني أنا دكتورة في كلية الطب. إذا كنت ملمًّا بما عليك، فالنوم باكرًا في مصلحتك.

***

الامتحان

لم يستطِع عمر النوم، فخيم عليه القلق والتوتر، وظل يتقلب في سريره هروبًا من قلقه. صلّى الفجر برفقة العم رجب، وجلس في غرفة الأمن يراجع مذكراته التي كتبها بإخلاص، واستقل ميكروباص الجيزة، نزل أمام الباب الرئيسي... تقدم إلى البوابة بثقة و رفع بطاقة المعادلة أمام رجل الأمن، ودلف الجامعة بخطى واثقة، ووجه مليء بالحماس، وما أن وصل إلى قاعات الامتحانات وتزعزعت ثقته بنفسه، وارتبك. عندما تسللت هتافات إلى مسامعه جميعها. تبشر في اتجاه واحد بامتحان صعب ودكتور معقد، وكأن الدكتور ندًّا عنيدًا يشعر بالانتصار عند رسوب طلابه ويحزنه تفوقهم. دلف قاعة الامتحان وسمع اسمه من المراقب بعد أن جلس على مقعد أمامه كراسة امتحان تحمل اسمه ورقم جلوسه... قرأ آية الكرسي قبل أن يستلم ورقة الإجابة بيد مرتعشة. ظل يحدق في الأسئلة قرأها كاملة قبل أن يمسك بالقلم، وبدأ يجيب على ما هو سهل... قبل نهاية الوقت كان قد انتهى من إجابة الأسئلة. أطل عليها نظرة مراجعة قبل أن يعطيها للمراقب. خرج وسار في ممرات البناية. وجد فتيات تولول وأخرى تلطم، لم يعطِ للأمر أهمية، وسار في اتجاه العودة إلى البيت... ظل هكذا حتى انتهت الامتحانات.

***

تمنيتها وتحققت

استيقظ عمر من نومه، وذهب إلى الصيدلية فهو يعمل فيها مؤقتًا، جاءه العم رجب وهو يحمل جرنالًا، ويهتف: يا عمر، نتيجتك ظهرت. سمع عمر الهتاف وانتابه شعور بالتوتر والارتباك وخيم عليه القلق. ترك أدوات النظافة، واستأذن من الدكتور سامي، وذهب مع العم رجب إلى غرفة الأمن، وفتح موقع الكلية، وبحث عن اسمه وسط الناجحين، فوجد عمر بهاء عبدالغني ناجح ٧٢ ... ٩٠٪ ... جامعة القاهرة... انتظام

لم يشعر حينها بنفسه من الفرحة، وظل يرتفع إلى الأعلى كالطفل... كان يوم يخلد في ذاكرته... قال للعم رجب: تتذكر خروجي في الثامنة مساءً كل يوم.

نظر له العم رجب باهتمام وقال: أين كنت تذهب؟

عمر متبسما: كنت ارتد على الجامعة.... كل يوم، أذهب واجلس أمامها، انظر إلى القبة بعمق وأحلم بدخولها... والحمد لله تنميتها وتحققت...

احتضن العمُّ رجب عمرَ وقال: الحمدلله.

بعد العناق الشديد الملي بالدفء، رجع عمر خطوتين وقال متذكرًا: أين الهدية؟

حـك رأسـه بسـبابته مصطنعًـا النسـيان وقـال بعـد صمـت قصـير: أنـا عنـد وعـدي.

واخرج من الخزانة ظرفًا وأعطاه إلى عمر.

فتـح عمـر الظـرف فوجـد خمـس آلاف جنيـه. نظـر إلى الظـرف بإمعـان وأعـاد النظـر إلى العـم رجـب متسـائلًا: مـا هـذه الفلـوس؟ !

العم رجب بثقة: مدام مها هي صاحبة الهدية.

ردد عمر الاسم مستغربًا فقال له العم رجب:

ـ هـي التـي كانـت تسـير مـع كلبهـا، وأعطتنـي مـن قبـل بطاقـة مكتبـة المـصري...

تذكـر عمـر تلـك السـيدة وهـو يقـول: نعـم... ولكـن ذلـك المبلغ لا أسـتطيع رده.

العم رجب : السيدة مها سعيدة بك.

أغلق عمر الظرف، وهو يقول للعم رجب: ـ وماذا أفعل بتلك النقود؟

العـم رجـب ضاحـكا: الدراسـة سـتبدأ بعـد أسـبوعين، وأنـت في حاجـة إلى ملابـس تناسـب الجامعـة... ومصاريـف دراسـية وكتـب وغيرهـا من المسـتلزمات الدراسية.

هز عمر رأسه متفهمًا.

العـم رجـب : والآن عليـك أن تسـافر إلى سـوهاج لأخـذ فـترة نقاهـة قبـل البـدء في الدراسـة.

ابتسم عمر و قال: عليك بالدكتور سامي.

ضحك العم رجب وقال مداعبا: تراني المحامي الخاص بك... من قبل الاستقالة من المطعم.. والآن الصيدلية...

وفي مساء ذلك اليوم، التقى عمر بـ جمعة السائق الذي يسكن معه، اقترح جمعه بأن يذهب معه إلى رحلة في الساحل الشمالي. في البداية، رفض عمر، ولكن عندما علم أن جمعة ذاهب مع أصحاب عمله، وأنه سيقضي أسبوعًا بفيلا منفردًا ، فقبل الذهاب معه دون تردد.

***

أول يوم دراسة

أول يـوم دراسـة، التقـي عمـر بسـماح في المـدرج وجلسـت بجـواره، في منتصـف المـدرج. هنـأ كل منهـم الآخـر. واعتلـت عصيـان تحمـل هواتـف لتلتقـط صـورًا، وآخـرون يتعارفـون، وبعـد خمـس دقائـق أدلـف عامـل النظافـة بالمـدرج، وأخـذ يلعـب في أدوات المكتـب، وصـدر صـوت مـن سـماعات المـدرج تعطـي إشـارة بـأن الميكرفـون جاهـز للاسـتخدام، وأضيئـت شاشـة بيضـاء، وتابـع هـذه الأحـداث دخـول الدكتـور. وقـف الجميـع فابتسـم الدكتـور وقـال بنـبرة سـاخرة موجهًـا حديثـه للعـم عبدالتـواب (عامـل النظافـة):

ـ جميلة سنة أولى.

هتـف عبدالتـواب بطلاسـم لم يسـتطع أحـد في المـدرج عـلى فكهـا. وفي نهايـة كلامـه رفـع يـده وهـو يقـول بتأتـأة: أي خدمـة أخـرى، يـا دكتـور؟

لم يسـتطع الدكتـور تمييـز مـا يقولـه ولكـن وضـع يـده عـلى صـدره وهـو يقـول: شـكرا لـك.

خـرج العـم عبدالتـواب وجلـس الدكتـور عـلى كرسـيه وهـو يقـول: أهـلًا بكـم في كليـة تجـارة. وظـل يتحـدث عـن كبـار رجـال الدولـة والمشـهورين ولاعبـي الكـرة الذيـن تخرجـوا في هـذا المـكان... وانجـرف بحديثه إلى شـخصيته، وهـو طالـب ومـدى معاناتـه، وطـرق التغلـب عليهـا والنصائـح التـي لم

يفعلها.... ولم يقل حرفًا في المنهج... اكتفي بتعريف نفسه وتعريف المادة من المنظور العام.

***

ـ إيه أخبار أول يوم جامعة؟ سألتها فرحة.

ردت سارة وهي تضحك: المدرج كان عبارة عن متحف أثري. الكل رافع عصيان حاملة الهواتف ويلتقطون الصور، وآخرون يمزحون، وغيرهم يتعرف...

فرحة : أنا عندي في جدول المحاضرات، أول يوم غدًا.

سماح مداعِبةً : غدًا سيأتي الدكتور، ويتحدث عن أمجاد الكلية والشخصيات العامة التي تخرجت فيها وأمجاده الشخصية.

ضحكت فرحة وهي تقول: أكيد، تمزحين. سارة بحزم: غدًا سأتصل بك... وتؤكدين أني على حق.

فرحة مبتسمة : إن شاء الله.

***

مصلحة حكومية

بعد أول أسبوع دراسي... عاد عمر إلى العمارة حاملًا كشكوله، وقال للعم رجب:

ـ اليوم جلست بجوار زميل وقال لي: إنه من الفيوم ويقيم بالمدينة الجامعية.... ثم واصل: أنا ذهبت معه إلى المدينة الجامعية بعد الانتهاء من المحاضرة، وأعطاني المدير ورقة مدون عليها جميع الإجراءات المطلوبة.

العم رجب: أعرف المدينة الجامعية، ولكن لماذا تتركنا؟

رد عمر متبسمًا: كيف أتركك، يا عمي، ولكن المدينة أنسب في الوقت الحالي. عرفت من زميلي أن لكل طالب سريرًا ومكتبًا وكرسيًّا ودولابًا

هز العم رجب رأسه متفهمًا وقال: افعل ما تريد... أهم شيء مصلحتك.

***

اتصل عمر بوالدته وأبلغها أنه في كلية تجارة، ويحتاج إلى أوراق من الوحدة المحلية في قريته... فرحت والدته، ولم تصدق الموقف. ولكن عندما أرسل عمر بعض الأوراق التي تحتاج إلى ختم من الوحدة المحلية؛ صدقت قوله وعم السرور في الدار... أنهت أوراقه وأرسلتها لعمر مستعينة بالبريد.... بعد أن أنجز جميع أوراقه، ذهب إلى المدينة الجامعية

حاملًا ملفًّا يحتوي على أوراقه... وقف أمام نافذة أحد المسئولين وقدم له الأوراق. أخذها الموظف من يد عمر، واطلع عليها من خلف نظارته، وقال بعد أن تفحصها، يوجد ختم باهت يجب عليك أن تعود وتختمه مرة أخرى.

اتسعت عينا عمر من هول الموقف، وهو يتمتم...: هذه مصلحة محلية بها موظف مثلك ما ذنبي في ذلك؟!!!

ارجع مسند الكرسي إلى الوراء... وأغمض عينيه مسترخيًا وقال: اتصرف، أنا لن أقبل ذلك الختم.

اخذ عمر ملفه وهو يشتاط غضبًا. أجرى مكالمة هاتفية لوالدته، وأبلغها بأنه سوف يرسل ورقة لإعادة ختمها... وتابع حديثه: حسبي الله ونعم الوكيل...

عاد عمر للموظف بعد يومين، وهو يحمل الملف وبه الورقة مختومة حديثًا، وجد الموظف نفسه ولكن هذه المرة يلهو في هاتفه. قاطعه عمر بإلقاء التحية.

انتبه له الموظف ثم عاد يلهو في هاتفه وهو يقول: خير، يا ابني؟

رد عمر بنفاد صبر: أريد إنهاء إجراءات سكني. وأسند ملفه أمام الموظف.

أخذ الموظف الأوراق وتفحصها، ثم قال لعمر: اذهب إلى الكلية، واختم تلك الورقة وتوجه إلى أقرب ماكينة صرف وادفع مائتا جنيه... أخذ عمر الورقة وذهب إلى الكلية. تفاجأ بطابور كبير أمام الشؤون وبعد ساعة من الوقوف الممل وقف أمام نافذة الموظف، وأعطاه الورقة فقال الموظف له بعدما اطلع عليها، انتظر خمس دقائق سأصلي الظهر، ولم يعطِ لعمر

فرصة الاعتراض. استدار في لمح البصر ومضي في طريقه... بعد ربع ساعة، جاء الموظف وهو يقول إلى عمر الذي يقف أمامه: ماذا تريد؟

تمتم عمر بكلمات غير مسموعة وقال موضحا: أريد ختم الورقة.

أمسك الموظف الختم وضغط به الورقة ، ثم منحها لعمر وهو يقول: اللي بعده؟

أخذ عمر الورقة وخرج من الطابور، ثم نظر إليها فوجد الختم باهتن ورجع بسرعة إلى نافذة الموظف، وهو يقول: يا أستاذ، أريد الختم واضحًا.

استقبل الموظف كلمات عمر باستهزاء وهو يقول: يا أستاذ، أنا أعمل منذ الساعة الثامنة صباحًا. لا تعكر مزاجي.

عمر برجاء: لست أنا المعترض، بل الموظف في المدينة.

ازداد الموظف استهزاء وقال: وصلت للموظف، وجئت في أقل من دقيقة؟!!

لم يتحمل عمر السيطرة على أعصابه وقال بنفاد صبر: أنت موظف وهو موظف والاثنين متعارضين ما ذنبي أنا؟ يا أستاذ، الذي يقف أمامك أرسل ورقة إلى سوهاج لإعادة ختمها لنفس المشكلة، وزاد صوته حدة ووضوح وظهرت عروق جبينه.

أمسك الموظف الختم ببرود دون أن ينطق حرف، وعاد ختم الورقة مرة أخرى. وأعطاها لعمر، وهو يتمتم باستخفاف.

ـ لم يستطع عمر أن ينبس بكلمة فأحس بأن الكلام لا يفيد مع شخص كهذا. وذهب إلى المدينة بخطوات واسعة.. أنهى الإجراءات بعد أن طفح الكيل...

***

الرحيل

عـاد عمـر إلى العـمارة ، وجـد العـم رجـب يشـاهد التلفـاز. ألقــى عليـه التحيـة، وجلـس بجـواره، وقـال بصـوت منخفـض: سأرحــل اليـوم. فتسـاءل منزعجـا : هـل أزعـجــك أحـدٌ؟!

ضحـك عمـر ثـم قـال : كلا ... لـقــد انـتهيــت مـن إجـراءات الإقامـة بالمدينــة الجامعيــة.

نظر العم رجب إليه، وقال: ستقطع بينا، يا

عمر. والدموع تطرق باب عينيه.

ـ لا يمكـن أن أنسـاك. ثـم أضـاف بعـد أن أمسـك بيـده: سـتجدني أسـبوعيًّا هنـا.

تمتم العم رجب بكلمات عطف، وفتح ذراعيه ليحتضنه.

غـادر عمـر العـمارة وتـرك قلبـه فيهـا، فحنـان العـم رجـب تـرك أثـرًا كبـيرًا في عمـر.

***

المدينة الجامعية

ـ بعد أن أنهى عمر إجراءات الإقامة واستخرج بطاقة المدينة الجامعية، وذهب إلى مبنى١١، وطرق باب المشرف. جاءه صوت المشرف من الداخل: ادخل.

أدلف عمر الغرفة وألقى التحية ممزوجة بابتسامة ظاهرية، وقال وهو يرفع بطاقة المدينة الجامعية:

ـ غرفة ١٨، دور ج.

ـ تفحص المشرف البطاقة، ثم أسندها إلى مكتبه وقال: اذهب إلى العم حسن، عامل الدور ج... وفتح دفتره ودوَّن بيانات عمر

عمر في تساؤل: أين أجده؟

ـ ستجده في الطرقات.

أخذ عمر البطاقة، وخرج يصيح: يا عم حسن.. يا عم حسن...

خرج طالب من غرفته، وعلى وجهه أثر الانزعاج وهو يقول: ماذا بك، يا كابتن، لم أستطع التركيز في المذاكرة.

رفع عمر يده في إشارة اعتذار وقال: آسف. ثم أردف: أنا جديد هنا، ولا أعرف شيئًا.

نظر له الشاب برأفة وقال: أنت ساكن في غرفه كام؟

ـ غرفة ١٨، دور ج.

أشار الشاب إلى السلم الرخامي، وهو يقول: هنا الدور أ، اصعد إلى الدور ج، واطرق الغرفة. ربما تجد صديقًا هناك.. وأغلق باب غرفته بشدة.

صعد عمر بعد أن ارتجف من صوت غلق الباب المفاجئ.

أعجب عمر بنظافة البناية وسار في اتجاه غرفة ١٨/ج. وقف عند الغرفة في تردد، نظر تحت الباب، فوجد نورًا منبعثًا من السراب، فشجعه ذلك على قرع الباب كان في الداخل يجلس عبده طالب كلية طب ينقر على مكتبه في حيرة وعدم استيعاب للمادة الذي سيخوض امتحانها غدًا. سمع صوت قرع الباب، فقام في نفاد صبر، ولف الأكرة المعدنية، وجد أمامه عمر يقف في خجل. تبادلا التحية، وبدأ عمر بتعريف نفسه، وقال له إنه سيقيم معه في الغرفة. رسم عبده ابتسامة عريضة على شفتيه. وسمح لعمر بالدخول، ثم هبط السلم بسرعة قاصدا غرفة المشرف: تحدث معه حول ضيفه الثقيل عمر.

أصغى إليه باهتمام في الظاهر، واستخفاف في الباطن وقال: لا يوجد أحد في كلية طب يقيم في مبنى ١١ فجميعهم يقيمون في مبنى ١٥ أو ٤ كما تعرف لأن تقديراتهم توافق تلك المباني. ثم تابع حديثه وهو يتعاطف مع عبده: عليك أن تنسجم مع الطالب عمر، وتتعايش مع الواقع.

لم يعجبه الحديث وهم للانصراف... غادر عبده غرفة المشرف وصمم في داخله أن يجعل عمر يغادر الغرفة بإرادته...

جاء عبده فوجد عمر كما تركه، اشار إلى المكتب الذي يعلوه سخان شاي، وقال: هذا مكتبك. ورفع فراش من السرير العلوي وقال: هذا سريرك. وانقض على كتبه مرة أخرى وهو يتمتم في كلمات تخص المنهج.

تفحص عمر المكتب المحروق قبل ذلك خمس مرات، وبعد أن نظفه ونظف فراشه نظر إلى الكرسي بعناية، فإن أحقر مسمار قد يهتك هندامه. وما أن جلس وسمع أصوات طقطقة، ألقى نظرة إلى عبده الذي كان ينظر له بغيظ، ثم تابعها بابتسامة، فابتسم عبده رغمًا عنه، ثم عاد عبده ودفن نظره في الكتاب.

***

شخص مشترك

تناول الشيخ رمضان الفطور وهم للمغادرة، جاء صوت سارة التي تقف أمام المرآة في غرفتها بعد أن أحست بحركته وهي تقول: انتظرني، يا أبي. تسلل هتافها إلى مسامع الشيخ غضبًا عنه الذي يريد أن يذهب إلى عمله مسرعًا، ولكن انتظر سارة لكي يأخذها إلى الجامعة، وصلت الجامعة رفقة أبيها وشكرته ونزلت من السيارة، وجدت رفيقتها سماح التي عرفتها منذ يومين في المحاضرة.

قالت سماح مداعبة: سيارة كمان.

ابتسمت سارة وهي تغمز لسماح وتقول: هذه مرة في السنة.

تبادلتا الابتسامة وذهبتا إلى المدرج.

جلستا معًا في المقعد الأمامي، تتسامران قاطعهما الدكتور.... وبعد انتهاء المحاضرة ذهبتا إلى الكافتيريا، ابتاعتا بطاطس سوري و كريب بالإضافة إلى البيبسي... جلستا في حديقة الجامعة.

سارة وهي تقضم الكريب: بيننا شيء مشترك وهو اسم عمر.

سماح أخفضت البيبسي من على فمها، ثم قالت: قصتك ولا الدراما. ثم واصلت القضم في البطاطس السوري.

توقفت سارة عن الأكل وقالت متسائلًا: وماذا ستفعلين مع عمر؟

قالت سماح وفمها ممتلئ: منها لله اللي كانت السبب.

لم تسمع سارة إلا السبب، فأشارت إليها بإعادة الكلام.

بعد أن هضمت الأكل، ورفعت البيبسي على فمها خفضتها ثم قالت في ارتياح :

ـ هاجر صديقة عمري.

ـ ولماذا؟!

ـ هي التي اقترحت عليَّ أن أخبر عمر بأن جاءني عريس، وقالت لي إن هذا سيدفعه لخطبتي أو اكتشف أنه يتلاعب بمشاعري، وحينها أقتصر طريقًا طويلًا.

ـ و أنتِ لم تكوني واثقة في عمر.

أجابت بعد تردد قصير: كنت أثق به، فهو لم يطلب مني شيئًا يغضبني، حتى لم يطلب صورتي.

ـ لم يرَك قط ؟!

فأحنت رأسها بالإيجاب.

ـ سبحان الله يبدو أنه صعيدي. وضحكت بصوت عالٍ.

هزت سماح رأسها بالإيجاب وهي تقول:

ـ هو صعيدي فعلًا.

اعتدلت سارة في جلستها وسردت قصتها ـ وما أن انتهت من سردها، حتى ضربت سماح كفيها ببعض في انبهار وهي تهتف:

ـ يااااا الله

نظرت سارة في الأشجار ولم تعقب. فأكملت سماح:

ـ لم يحاول والدك أن يبحث عنه في الصعيد؟

ردت سارة دون أن تلتفت:

ـ للأسف والدي لم يتذكر أين وضع الملف؟

ـ ملف؟! قالتها سماح وهي مندهشة.

ـ عندما استقبل والدي عمر، أخرج له بطاقة شخصية وشهادة ميلاد.

سماح : هو لم يكن يحمل بطاقة.

سارة بضيق : يا بنتي، عمر تعرض للسرقة.

خبطت جبينها بيديها بعد تذكر: اهاا. ـ ـ مسكين عمر. قالتها سارة وهي شاردة.

ـ عمر. قالتها سماح بنبرة متسائلة.

جزت سارة على أسنانها وقالت: أنا ذاهبة إلى المدرج أفضل.

انصرفت سارة وسط ضحكات سماح المكتومة.

بعد وقت قصير، سار عمر في اتجاه سماح الجالسة وسط الخضرة.

ـ السلام عليكم. قالها عمر بنبرة مدرس ابتدائي يلقي التحية على طلابه.

ابتسمت سماح بوجود عمر، وردت في لهفة: السلام.. ثم تابعت: لماذا لم تحضر المحاضرة السابقة؟

هرش مؤخرة رأسه وترددت الأفكار في رأسه قبل أن يجيب: كنت نائمًا.

سماح بتعجب: أنت لو نزلت من السرير ستصل المدرج في أقل من خمس دقائق!!

عمر مبتسما عندما كنت أركب مواصلات، كنت أصل باكرًا دائما.

ثم أردف وهو يلوح بيده: سبحان الله... مدت سماح حقيبتها إلى عمر وهي تقول:

ـ أمسك هذه ، لكي أستطيع إلقاء القمامة في السلة.

أمسكها عمر دون اكتراث وبعد أن ألقت سماح بالقمامة ، تمادت في السير إلى المدرج دون أن تأخذ حقيبتها، واصطنعت اللامبالاة ، فقاطعها عمر بإلقاء الحقيبة أمام المدرج. دهشت سماح من الموقف، فجاء صوت العم عبدالتواب: هي دي حقيبتك، يا أستاذة!!

هزت سماح رأسها في ارتباك وقالت بانزعاج: فيه إيه، يا عم عبدالتواب.

وأدلفت المدرج عقبها، وتركت العم عبد التواب يخبط كفًّا على كف وهو يقول: آاه، يا زمن.

***

المتهم ٢

أدلف شاب يرتدي قميصًا مدونًا عليه «فطائر الفيروز» يحمل كيسًا به شطيرة، أخذها منه الشيخ رمضان وأنقده، ثم جلس في مكتبه؛ وبنهم تناول الفطيرة والفتافيت تتساقط على ذقنه. سمع صوت أقدام تقترب من المكتب، وكان صاحب تلك الأقدام البركة.

بعد أن ألقى التحية قال:

ـ أود أن أسألك سؤالًا يلح عليَ دائما.

ـ تفضل.

ـ هل تشك في أمانتي!!

استوى الشيخ في جلسته وقال: ماذا تعني؟

ـ يعلم الله أن كل ما حدث بيني وبين الحاج حمدان كنت تعلم به.

هز الشيخ رأسه في أسى.

فتابع البركة : حتى جميع المكالمات بيننا مسجلة.

ـ لماذا سجلتها؟

: لتكون حجة لي في مثل ذلك الوقت، مثلت الدور كما تطلب...

تساءل الشيخ: وما السبب الذي يجعلك تشك في ذلك؟

ـ بعد صمت قصير من بعد غياب عمر، ومعاملتك تغيرت معي.

قال الشيخ رامشا عينيه مما يعني أنه يسايره في اللعبة: لا علاقة لك بذلك، لكن غياب عمر ترك أثرًا عميقًا بداخلي، وهذا ينعكس على تصرفاتي.

وختم حديثه بابتسامة.

***

الاعتقاد الخاطئ

قام عبده طالب كلية الطب بكل المحاولات حتى يغضب عمر لكي يترك الغرفة.

كان يستيقظ ليلا، ويشعل المصباح لكي يزعج نوم عمر.

وعندما يجد عمر جالسًا إلى مكتبه وغارقًا في المذاكرة يمسك الهاتف مصطنعًا الحديث، ويتحدث بصوت عالٍ.

- يدعي أنه فاشل وغير ملتزم، ويسبب الفشلَ لك زميلٌ يجاوره.

ولكن جاء رد عمر بالحسنى ، فكان شديد النظافة، هادئ الطبع، لا يبالي من أفعال عبده.

وفي يوم كان عبده عائدًا من الكلية، فلاعبت أنفه رائحة العطر الذي رشه عمر، ووجد الغرفة منظمة، كما تفعل والدته في البيت. وبعد وقت قصير، جاء عمر حاملًا سخان الشاي وألقى التحية ممزوجة بابتسامة خفيفة. رد عبده التحية، وتابع تغيير ملابسه ثم مناديا: عمر.

التفت عمر بعد أن وضع السخان في موضعه.

ـ انسَ كل ما قلته لك.

ـ لا يهمك... نحن هنا أخوان. ثم أضاف وهو يسكب الماء الساخن

ليذيب الشاي والسكر: أنا لم أقصد إزعاجك، ولكن ليس بوسعي اختيار مكان آخر، فكما تعلم أني جئت هنا بعد اكتمال العدد.

ابتسم عبده وقال: أنت شخصية جميلة. ثم واصل بعد تلعثم: الحقيقة عندما عرفت أنك في كلية تجارة صدمت.

عمر وهو يضحك: لماذا كل هذا؟!

ـ لا يوجد سبب معين، ولكن كثيراً ما أسمع عنكم... ولاذ بالصمت.

عمر أدرك ما يلمح إليه وقال مبتسما:

ـ سمعت كل خير

ضحك عبده، وهو يهز رأسه بالإيجاب وطرق كفه بكف عمر.

***

المقعد الأول

في بداية الدراسة، كان عمر لا يعرف أحدًا غير سماح، فكان يجلس أغلب المحاضرات بجوارها أو منفردًا. وفي قرب الامتحانات، كان المدرج مكتظًّا بالطلبة، فكل منهم يمني النفس بأن يلمح الدكتور على سؤال أو يصف إجابة بنمط معين. لم يجد عمر مكانًا يجلس فيه. تعاطف معه زميل يجلس في المقعد الأول. افسح له المكان وجلسا معًا... في البداية كان عمر يعتقد أن المقعد الأول للطلبة الممتازة التي تذاكر من بداية العام، ولم يحاول الاقتراب منهم، فهو يعلم من أين جاء هنا....

ولكن تغيرت نظرته بعد أن اجتاز امتحانات نصف العام ووجد أن درجاته تفوق بعضهم... وذاب ذلك الحاجز الذي وضعه عمر بينه وبينهم لسوء اعتقاده...

ـ لماذا كنت تجلس في الخلف دائما.. هكذا تحدث أحمد صديق عمر المتفوق.

بعد أن ابتسم عمر قال: كنت أعتقد أنكم تختلفون عن بقية الطلبة... ثم أردف: بخلاف ذلك، فلم يكن لدي أصدقاء. ـ الجلوس هنا أفضل من الخلف... من حيث التركيز، فلا يوجد من يزعجك... أو مناقشة الدكتور فيسمعك بوضوح.

هـز عمـر رأسـه متفهـما وقـال: بالطبـع فعندمـا كنـت أجلـس في آخـر المـدرج كنـت أسـمع أشـياء غريبـة.

نظر أحمد باهتمام وقال: مثل ماذا؟

عمـر وهـو يضحـك: مثـلا، كنـت أسـمع مـسرح مـصر.. وأحيانـا صـوت معلِّقـي كـرة القـدم.

هـز أحمـد رأسـه وهـو يضحـك وأشـار بأنـه مصـدقٌ قولـه ويتوقـع أكـثر مـن هـذا.

وفي نهايـة الحـوار، عـرف عمـر بـأن أحمـد يقيـم في المدينـة الجامعيـة، وفي نفـس المبنـى ولكـن بالطابـق العلـوي دور (هـ).

بعـد ذلـك اليـوم، تبـادل عمـر وأحمـد الزيـارات في الغـرف.... كان يجلـس مـع أحمـد طالـب في كليـة تخطيـط عمـراني. والحقيقـة عمـر اشـفق عليـه بعد أن سـمع قصتـه ومعاناتـه مـع طالـب تخطيـط عمـراني، فعـرف أنـه ممكـن أن ينـام عـلى إضـاءة المصبـاح بسـبب أن الآخـر غـارق في إعـداد مهمـة تخـص دراسـته. رسـم لوحـة وأعجـب بشـخصيته بعـد أن عـرف أنـه لا ينزعـج مـن هـذا، وازداد إعجابـه عندمـا قـال: فـكل منـا يسـعي لبلـوغ هدفـه، ويجـب أن نقـدر هـذا ونسـاعد بعضنـا البعـض، فـإن لم نسـتطع المسـاعدة يكفـي أن نهيـئ الأجـواء لـه، لـكي يبـذل كل جهـده ويحقـق هدفـه..

***

الطيب !

ظهر عمر وسط الجالسين في المقعد الأول كالنجم في السماء، وساعده استقراره في المدينة، فأصبح من الطلبة المميزين. يتناقش مع الدكتور بكل ثقة، تغيرت أشياء كثيره من حوله، فأصبح التلميذ النجيب الذي يساعد زملاءه ، دائما ما تجمعهم حديقة الجامعة لتناول موضوع ما في مادة معينة، يتناقشون ويتبادلون الآراء.... مر العام الدراسي الأول بسرعة الرياح، وبعد الانتهاء من الامتحانات الشاقة.

عاد عمر ليودع المدينة التي شهدت أول أيامه كطالب جامعي، بعد أن انتهى من إجراءات التسليم، تبقى له أن يسلم أغراض الغرفة إلى عامل الدور العم حسن. ذهب إليه في عجلة حفاظًا على الوقت المتبقي قبل غلق مركز الكومبيوتر. تفحص جميع الأماكن التي يحتمل أن يكون فيها العم حسن فلم يجده. توجه إلى مشرف البناية، فنصحه بأن يسلم لأي شخص آخر من العمال، ذهب إلى العامل في دور (هـ) طمعًا في رقة تعامله كما حكى له أحمد زميله، وجده في غرفته يستمع إلى الست أم كلثوم. وما أن فتح الغرفة حتى خرجت عاصفة من الدخان وتجسد أمامه عامل الدور، ويحتضن بأصبعه لفافة تبغ طويلة لفتت انتباه، وظن أنها محشوة بشيء ما...

ـ أول مـرة تشـاهد سـيجارة كليوبـترا سـوبر؟ قالهـا العامـل كأنـه قـرأ مـا يـدور في ذهـن عمـر

جـاءت كلـمات العامـل مباغتـة لعمـر فقـال بعـد صمـت قصـير، ليـس لـدي خـبرة في الدخـان ولكـن هـذا لا يهـم. أريـد أن أسـلمك غرفـة بالـدور (ج).

ورسم ابتسامة مصطنعة ختاما لحديثه.

العامل ببرود : وأين العم حسن ؟

عمر : الحقيقة بحثت عنه فلم أجده، وجئت لك بعد نصيحة المشرف.

تمتـم العامـل بكلـمات غـير مفهومـة، ولكـن اسـتطاع عمـر تمييـز بعضهـا، وظـن أنهـا كلهـا تصـب في سـب المـشرف، ولكـن الأمـر لا يهـم اذا كان ذلـك سـيقضي غرضـه...

بعـد أن أغلـق العامـل البـاب، ووضـع السـيجارة بـين شـفتيه، وسـار مـع عمـر بخطـوات ثقيلـة.. أخـرج عمـر المفتـاح مـن جيبـه، وفتـح البـاب، وسـمح للعامـل بالدخـول ليعايـن الأغـراض.

أشـار العامـل إلى المكتـب الخـالي المتـآكل، متجـرد اللـون، ملطـخ بالحـبر.. باهـت... وقـال منزعجـا: مـا هـذا؟

عمر موضحا: هذا مكتب.

نظر له باستياء، وقال باستخفاف: بجد؟! ثم أردف: ماذا فعلت بالمكتب؟

عمر ببراءة وبعض الخوف غير المبرر:

ـ كنت أستخدمه في المذاكرة فقط.

أدرك العامـل أنـه في المرحلـة الأولى، وليـس لديـه خـبرة في التعامـل مـع تلـك الظـروف، حيـث قـال بخبـث: لـن أسـتلم تلـك الأغـراض... ثـم واصـل: يجب أن تـأتي بمثلهـا، ولكـن بحالـة أفضـل مـن تلـك الخـردة.

اتسعت عينا عمر وقال: نعم... آتي بمثلها ؟

فتح العامل ضلفة الدولاب، وقال وهو يشير إلى كتابات منقوشة ببراعة: من فعل ذلك ـ عمر تفهم ثورته وقال بنفاد صبر: أنا الذي فعلته، وأنا الذي هلكت ذلك المكتب، وأنا سبب عدم مجيء العم حسن.

ولوح بيده محتجا.

ضحك العامل بخبث وقال: فهذا خطؤك.

ثم واصل بعد أن ركز في عيني عمر: كان من الواجب عليك استلام أشياء تصلح للاستخدام.

عمر بمرارة : هذا جزاء من تعاون معكم، وقبل بأقل الإمكانيات الموجودة، ثم استعان بالآية الكريمة ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾.

شعر العامل بالحرج، ثم غادر هاربًا وهو يهتف: عليك بالهبوط إلى مشرف البناية، فقد يساعدك، أما أنا فلا أستطيع أن أستلم منك فهذه مسؤولية كما تعرف... وسرد بعض العواقب التي يخشاها... وغادر الغرفة وسط ذهول عمر.

ركل عمر باب الغرفة، واتجه صوب مكتب المشرف.

وقال بنفاد صبر: العامل لم يقبل أن يستلم الغرفة مني!!

ردَّ ببرود وقال: انتظر غدًا، فأنت من وضعت نفسك في هذا الموقف...

ثم تثاءب ونظر إلى ساعته المضيئة وقال: العم حسن يغادر العمل الساعة ١٢ ظهرًا.

اجتز عمر على أسنانه وهو يقول من المفروض أن هذه أيام إخلاء المدينة، يجب أن يكون موجودًا حتى لا يتعطل أحدنا، يكفي مشقة السفر!!

رفع حاجبه، ثم امسك بهاتفه، وقال: سأتصل بالعم حسن.

- آلـــو... العـم حســن لا لا .. المهـم ... الطالـب عمـر الـذي يقيـم في غرفـة ١٨/ج يريـد أن يسـلم الغرفـة... نعـم.... تمـام.... مـع السـلامة.. ثـم وضـع الهاتـف عـلى المكتـب وقـال: عليـك بالانتظـار.

انـصرف عمـر دون أن يسـتأذن... وخطـر ببالـه أن يسـتعين بصديقـه أحمـد... اتصـل بأحمـد...: صديقـي.. أخبـارك ... أنـت سـافرت ؟.... كيـف وغرفتـك مغلقـة ... آه سـتأتي بكْـرة مـن إمبابـة وتعـد أوراق الإخـلاء وتسـافر... أنـت محظـوظ. لـك خـال هنـا... آهـا طبعـا العـم رجـب حبيـب قلبي سـأذهب إليـه الليلـة... ولكـن بعـد أن أخلـص مـن هـذه المشـكلة.. أبـدًا ولكـن الأمـر يتعلـق بالغرفـة... العامـل انـصرف مبكـرا وذهبـت إلى العامـل في دور (هـ)... اسـمه الطيـب.. غريبـة.... لا أبـدا مـا عليـك المهـم ذهبـت إلى الطيـب وطلبـت منـه أن يسـتلم نيابـة عـن العـم حسـن، ورفـض لأن المكتـب لا يصلـح للمذاكـرة عليـه... ويشـك أن أنـا وراء إفسـاده... آهـا.... آهـا.. تعتقـد أن ورقـة نقديـة فئـة الخمسـين جنيهًـا ستسـلك الطريـق... تمـام... شـكرًا عـلى النصيحـة الغاليـة...

أغلـق عمـر الهاتـف، ودسـه في جيبـه وتوجـه إلى العـم الطيـب، وهـو يقـول محدثًـا نفسـه: إذا كان هـذا الطيـب فـماذا عـن الشريـر؟ وأطلـق ضحكـة مهمـوم ...

قـرع البـاب وفتـح لـه العـم الطيـب، وعندمـا وجـد عمـر أمامـه قـال بـبرود:

- خير؟

صمـت عمـر وقتًـا قصـيرًا قبـل أن يسـتجمع شـجاعته ويقـول: أريـد أن أسـلم غرفتـي.

ـ يا ابني.. هذه عهدة، ويجب أن تستلمها وتسلمها بحالة جيدة.

مد عمر يده في جيبه وأخرج خمسين جنيهًا وهو يقول:

- البركة فيك، يا عم الطيب.

ووضعها في جيب قميصه.

ابتسم العم الطيب في حرج وقال: هل ستغادر الآن أم غدا؟

رد عمر وهو يخفي ابتسامته: الآن.

***

أصيل

ـ أهلًا بعمر باشا. قالها العم رجب وعانق عمر بشدة..: طمني عليك.

ـ الحمد لله بخير... سأسافر غدًا الصعيد.

العم رجب وهو ويغمز: لا تنساني في سرد قصتك على أقرانك.

ضحك عمر وقال: كيف أنساك... تعرف، يا عم رجب في آخر مادة كنت مرهقًا جدًّا، وفقدت القدرة على الاستيعاب والوقت أزف... كان يغلبني النوم وأنا مكب على المكتب... لكن عندما تذكرتك وتذكرت ذو الفقار وعرفة... كنت أستجمع قواي بذكراكم وأفعل ذلك لأكون عند حسن ظنكم.

أعجب العم رجب وأصبح فخورًا وقال:

- بالنجاح إن شاء الله.

نهض عمر من جلسته.

العم رجب: إلى أين العزم؟

عمر: سأذهب إلى المطعم.

العم رجب: أصيل، يا عمر.

ذهب عمر إلى المطعم الذي عمل فيه سابقًا، وهناك التقى بأصدقائه

المتبقين من جيله؛ فوجد وجوهًا جديدة، كما علم بنقل بعض الأشخاص إلى فروع أخرى... هنأه المدير وقال: في انتظارك بعد الحصول على الشهادة لكي تعمل في الإدارة.. ابتسم عمر وقال: ربنا يسهل .. وبعد جلسة قصيرة ودعه حفاظًا واحترامًا لوقت عمله.

عاد عمر إلى العم رجب، والتقى بجميع الأصدقاء القدامى، وامتلأت الأجواء بالترحاب، وسرد عمر بعض المواقف المضحكة، ورد على أسئلتهم، وحكى لهم ما يدور خلف أسوار الجامعة... وفي اليوم التالي، سافر عمر إلى الصعيد.

***

العودة إلى الدار

بعد وصوله إلى قريته، دلف بيته استقبلته أغلي ما تحمله الأرض فوق سطحها لديه، احتضنته، و تسللت دموع الفرح من عينيها وهي تقول: حمدًا لله على سلامتك.. ثم تراجعت وهي تتفحصه بعينيها وتقول: أنت نحيف كده ليه؟

ابتسم عمر وهو يقول: يا أمي، أنا جسمي زاد على فكرة!

ـ يا حبة عيني، وسطك زي السمسمة. أغرق عمر في الضحك حتى دمعت عينه. وقال وهو يضع يديه على وسطه كل هذا سمسمة.

قاطعهم الصغير محمد، وهو يقول ببراءة: - أبي قادم.. أبي قادم.

نظر عمر إلى والدته، وقال مردداً: أبي عاد من السفر.

قالت بسرور: سيأتي غدًا.

احتضن عمر اخيه الصغير... ثم قال الصغير: أين هاتفك؟.. بعد أن أخذه من أيدي عمر تركه، وفرَّ تجاه السرير مدد جسمه. ووضع ساقًا فوق ساق، ثم ظل ينقر بأصبعه الصغيرة على شاشة الهاتف.

ضرب عمر كفيه وقال محدثًا نفسه: نحن لم نكن أطفالًا قط ....

في اليوم التالي، جاء والد عمر من السفر وعم الفرح بالبيت....

وفاجأه والده بهدية غالية حاسوب محمول. فرح عمر بها... وظل طيلة اليوم أمام شاشته.

ـ كفاك اليوم جلوسًا أمامه. قالها والده وهو يجلس على الأريكة بجواره.

ـ رد الصغير محمد ببراءة : عمر لديه أصدقاء بنات.

والدته وهي تضحك: تحب الفضائح أنت.

أغلق عمر الشاشة. وقال في حرج: في القاهرة الأمر طبيعي عكس هنا. ثم تناول الشاي من يد والدته وأسنده أمامه.

والده بمزاح: أتمني أن الأمر لا يتعدى حدود الصداقة.

عمر بمزاح: أو يتعدى، ما المانع؟

ضحك الجميع... ثم قال والد عمر معاتبًا: يا عمر، أنا علمت بما كنت تفعله هنا وأنا في السفر. وكنت أتغافل.

عمر حاول الدفاع عن نفسه ولكن قاطعه والده بإشارة من يده وأردف: ربنا أكرمك وجعلك من طلاب جامعة القاهرة، أحسن استخدام النعمة.

عمر وهو ينظر للاشيء: عندما كنت صغيراً في الابتدائية، وندرس حياة عالم تخرج في جامعة القاهرة، كنت أقول في خيالي» سأدرس في جامعة القاهرة....» والآن أنا أصبحت من طلابها... اطمئن، يا والدي.

***

درس جديد !

قـضى عمـر إجازتـه، وقـام بإعـداد أوراق التسـكين الجامعـي، وتعلـم مـن الـدرس وانتبـه جيـدًا للختـم. ولكـن هـذا العـام تلقـي درسًـا جديـدًا، وهـو أن طـلاب الكليـات النظريـة تسـكن بعـد الدراسـة بأسـبوعين... قـضى الأسـبوعين برفقـة العـم رجـب، وكان أمامـه عائـق المذاكـرة، فوجـد حـلًا أفضـل ولم يخطـر عـلى بالـه قـط؛ وهـو مكتبـة الكليـة. كان يـأتي للعـمارة عنـد النـوم فقـط.... بعـد أسـبوعين، نقـل عمـر أغراضـه إلى المدينـة الجامعيـة مسـتعينًا بتاكـسي.

***

المسقعة

أدلف عمر المدينة الجامعية، وكانت هذه المرة الإجراءات أيسر إلى حدٍّ ما.... اقتنى مفتاح غرفتهن وسكن برفقة صديقه أحمد بما أنهم أصدقاء ستكون الأمور أفضل.

في هذه الأثناء، تلقي عمر مكالمة من آخر شخص ممكن أن يتوقعه كان المتصل الدكتور عبده... طلب منه أن يسكن معه، ولكن عمر اعتذر وقال له: سكنت مع صديقي ومن المحرج أن أتركه.

تفهم عبده الموقف وقال: اذا قررت أن تسكن معي حدثني في اي وقت لدي صديق هنا في الشئون يتمنى أن يخدمني.

رد عمر بعد تفكير قصير، وطرح عليه أن يطلب منه السكن بمفرده إذا أمكن ولكن رد عبده موضحا: ليست لهذه الدرجة، يا بش محاسب.

ضحك عمر وقال مودعًا: مع السلامة.

قضى أول أيامه في المدينة، وتلقى درسًا آخر وهو المطعم. تفاجأ بأن المطعم لا يعمل إلا بعد شهر من بداية الدراسة. أول يومين تردد على مطعم صبري. وبعدها، تردد على باقي مطاعم بين السرايات بحثًا عن أرخص ثمن لكي تستمر نقوده لمدة أسبوعين حتى يفتح المطعم...

في اليوم الخامس، كان يمشي هو وأحمد في شوارع بين السرايات،

وهناك التقى أحمد بصديقه، وهو يحمل بعض أكياس الخضراوات. بعد أن تصافحا، سأله أحمد لماذا تحمل هذه الأكياس، عرف من خلاله أنه يقوم بإعداد الطعام بنفسه مستعينًا بشعلة كهربائية...

بعد ذلك اليوم، انضم عمر وأحمد إلى صديقهم مدحت الشرقاوي... كان مدحت يكبرهم بعام، وذلك يرجع إلى شغبه في الإعدادية. عرف في الحي أنه فتًى شقي. ولكن بعد وفاة صديقه، تغيرت تصرفاته، وأصبح هادئ الطبع محافظًا في العبادات.... عمله منذ الطفولة في مطعم جعل منه طاهيًا ماهرًا... في أول يوم، كان الطعام جيدًا، ولكن جاء على حساب وقتهم. فأهدر اليوم في صنع صينية مسقعة... أكل عمر المسقعة، واقترح عليهم أن يقوم كل منهم في مهمة حفاظًا على الوقت ...

بعد نقاش وجدال بسيط، أصبح عمر يقوم بجلب الخضراوات من السوق، بالإضافة إلى صنع السَّلطة.... ومدحت يقوم بالطهي، وأحمد يقوم بنظافة الأطباق وصنع الشاي. في هذه الأيام، اتصل عمر بوالدته وشكى لها همه، واعترف بقيمتها في إعداد الطعام...

بعد يومين، اتصل خال عمر، وبلغه بالذهاب إلى البريد لاستلام كرتونة.... ذهب عمر برفقة أحمد للبريد، واستلم الكرتونة، وبعد أن فتحها في غرفتهم تفاجأ ببرطمانٍ من الليمون المخلل، وبعض أكياس الأرز والمكرونة بالإضافة إلى فرختين وبعض التوابل....

ضحك عمر وأحمد... وقال بمرح: أين الشرقاوي؟... اتصل عمر بوالدته وتساءل عما فعلته فأخبرته بأنها ستعدُّ بعد ثلاثة أيام فطيرًا، وسترسله. وشكرت خدمة البريد والتطور الذي حل بها...

شكرها عمر وقال: لا تتعبي نفسك، يا أمي ...

وبالفعل بعد ثلاثة أيام، أرسلت كرتونة، ولكن تغيرت محتوياتها،

فـكان بهـا فطـير مشـلتت وعسـل، بالإضافـة إلى برطـمان مـن الجـبن القديـم ومـش صعيـدي...

في المـرة السـابقة، كان الشرقـاوي الشـيف الرسـمي للشـلة. ولكـن في هـذه المـرة، أخـذ عمـر موضعـه عـن جـدارة، فتذكـر مهـارة جـده في إعـداد هـذا الطعـام.... قطـع الطماطـم عـلى الجبنـة، وأضـاف إليهـا بعـض الزيـت... وأحيانـا يضـع العسـل في الصحـن وبجانبـه الفطـير المشـلتت.... كرتونتـا أم عمـر لم تنقذهـما مـن الموقـف، فمـرَّ أسـبوعان، ولم يفتـح المطعـم.... أخـبر عمـر والدتـه بافتتـاح المطعـم كاذبًـا، خوفًـا عـلى تعبهـا. وعـاد الشرقـاوي في موضعـه، واسـتمر ذلـك أسـبوعًا آخـر حتـى تـم فتـح المطعـم بعـد ٣ أسـابيع...

بعـد هـذه التجربـة الشـاقة، كان هنـاك سـؤال يلـح عـلى عمـر دائمًـا، ولكـن عجـز عـن إجابتـه لمـاذا يفتـح المطعـم بعـد شـهر مـن بدايـة التسـكين؟!!....

***

مجموعة أ

كانت سارة منتظمة في محاضراتها، ولكن هذا العام لم تحضر في مجموعتها وفضلت الحضور في مجموعة (أ) برفقة صحاب الثانوية...

تلاشت ذكريات عمر مع مرور الوقت، وأصبحت تركز فيما حولها فقط، ولم تعطِ لنفسها مساحة للجانب العاطفي، رغم تقدم العرسان لها ومحاولات والدتها المتتالية. وأصبح والدها يفكر مثل والدتها، وانتهت شخصيته التي تدافع عنها ونمت شخصية مختلفة. لم يعد ذلك الرجل الذي يقف أمام ثورة والدتها....

***

الرفيق

بعد أن اجتمع عمر وأحمد بغرفة واحدة، أصبح كلاهما يتمتع بمعرفة واسعة فكل منهم يضيف شيئًا للآخر، ويشجعه على المذاكرة.... وكما توجد مميزات توجد عيوب وكان العيب في تجمع باقي أصدقاء الدفعة في غرفتهم، فتألقهم في المدرج أمام أسئلة الدكاترة بنت لهم شهرة واسعة، وبعد مشاركتهم المؤثرة على الفيس بوك في مجموعة الدفعة والإجابة عن أسئلة الزملاء زاد العبء عليهم، وعرفت غرفتهم بتردد الطلاب عليها....

تضايق عمر من ذلك وكان يلوم نفسه لأنه تسبب في إزعاج أحمد.... وكان أحمد يلوم نفسه للسبب ذاته... بعد الانتهاء من الترم الأول، وجاء الترم الثاني ليفرق بينهم بعد إعلان إدارة المدينة الجامعية على فتح باب التنقل بين الغرف لمدة أسبوع. ولحسن حظهم أنه مبنى امتياز حيث يوجد مبنى للطلبة الحاصلين تقدير امتياز. كما يوجد لجيد جدًّا. وكذلك للمقبول، كان به غرف شاغرة، تنادي على الطلبة. وبعد أن سمحت إدارة المدينة بأن الحاصلين على جيد جدًّا يمكنهم الاقامة في مبني امتياز... لبى عمر النداء، كما فعل أحمد، ولكن كل منهم في غرفة متفرقة. كان الأمر صعبًا، ولكن ليس لديهم خيار آخر.... عاش عمر مع دكتور في كلية طب، وتذكر حينها عبده ولكن هذه المرة اختلف الاسم، كما اختلفت

الشخصية كان اسمه ياسر، وفي الفرقة الخامسة. وسكن أحمد مع طالب في كلية الهندسة اسمه أحمد. وكان ذلك يسبب المتاعب إلى عمر، فكلما ذهب إلى أحمد ينادي بأحمد فيرد كلاهما. فاقترح أحدهما بأن يستخدم اسم الكلية مع الاسم، فكان ينادي أحمد تجارة أو أحمد هندسة.....

بعد مرور أسبوع على هذه التجربة، أحس عمر بالتحرر، فكان يجد وقتًا متسعًا في يومه بخلاف الترم الأول.. وكان ياسر طالبًا مجتهدًا، وهادئ الطبع، ونظيف المكان، سلسًا في التعامل.... أضاف إلى عمر الكثير في الجانب الديني بحكم أنه حافظ للقرآن الكريم، وبدأ في تحفيظ عمر كل يوم جزءًا من الآيات الكريمة. وفي نهاية الترم، كان عمر أتم حفظ جزئين.... في نهاية العام، طوق عمر جهده بتقدير جيد جدًّا مرتفع.

***

نائب رئيس الجامعة

في الفرقة الثالثة، نضج عمر وتمتع بمعرفة واسعة وسط زملائه، واختلط بالفتيات عكس السنين الماضية. كان لديه بعض التحفظات، وانضمت إليه فتاة غيرت منه الكثير.آية... وكانت آية في الأخلاق، تعرفت عليه بعد الواقعة الشهيرة فالمدرج....

(في يوم، كان عمر مرهقًا، واقترح أحد أصدقائه أن يحضر في مجموعة أ... في البداية، رفض عمر لأنه سيكون في موقف محرج إذا التقى بأحمد الذي كان يلح عليه دائما بالحضور معه. ولكن عمر كان يصر على الحضور في مجموعته بسبب أصدقائه الذين عرفوه وتأقلم معهم....

حضر عمر رغمًا عنه بعد الإلحاح عليه ... كان المدرج مليئًا على آخره، وعندما تساءل عمر عن ذلك العدد الذي يراه لأول مرة إجابة صديقه بفخر.

- يا ابني، الدكتور الذي سيكون أمامك بعد قليل نائب رئيس الجامعة.

اكتفي عمر بهز رأسه وترقب للدكتور الذي حضر كل هذا العدد من أجله.

تفاجأ بوجود أحمد في أول مقعد. جلس معه بعد أن أفسح له بعض المسافة، رغم تذمر الجالسين، وذهب صديقه الآخر إلى الجلوس على السلم بعد فشله في وجود مقعد. أحمد ساخرًا: حلوة مجموعة أ.

رد عمر بابتسامة.

دلف الدكتور المدرج، وأغلق بعده الباب وعم الصمت في المدرج كصمت المقابر. بعد مضي عشر دقائق، كان عمر يندم على ما فاته. وقال محدثا نفسه: يستأهل أن تكون محاضراته في ميدان التحرير. وفجأة توقف الدكتور عن الشرح، ونظر الجميع إلى الخلف لما ينظر إليه الدكتور، وحينها صعق عمر، فوجد فتاة رآها مسبقًا جالسة مع العم عبدالتواب. وعندما سئل العم عبدالتواب كيف تجلس على كرسيه. وهذا ممنوع فرد العم عبدالتواب بعد أن غادرت الفتاة مسكينة... إنها تعامل معاملة خاصة فتصرفاتها غير طبيعية، تسللت الفتاة السلالم وسط ازدحام الطلاب عليها حتى قاربت من الباب. ودون أن تنظر إلى الدكتور أو تنظر إلى ضحكات الطلبة المكتومة. راحت تحرك الأكرة المعدنية. ولكن جاءت محاولتها بالفشل، ثم التفتت إلى الدكتور، وقالت بصوت غير مسموع: افتح الباب.

اندهش حينها عمر الذي استطاع تمييز الكلام، لأنه قريب منها، وزادت دهشته، عندما رد الدكتور بخفة دمه. وقال بهدوء: عودي كما كنتِ ...

ردت الفتاة بنفس كلماتها السابقة، وتجاهلت نداء الدكتور، وتابع الدكتور خفة دمه معها ولكن الفتاة المسكينة لم تتزحزح من مكانها. وتعالت ضحكات الطلبة بعد خفة دم الدكتور.... وتحول النقاش إلى سخرية بينهم مما وضع الفتاة في موقف محرج، ولكنها نظرًا إلى ظروفها لم تستوعب ذلك. وأصرت على مغادرة المدرج، بعد تردد قام عمر من مكانه قاصدًا الدكتور. ذهل أحمد الذي حاول أن يشده، ولكن خشي أن يسبب له إحراج بعد تحول النظر إليه. توجهت أنظار الجميع، مندهشة نحوه...

اقـترب مـن الدكتـور بقدمـين مرتجفتـين، وعندمـا اقـترب مـن الدكتـور. ازدادت ثقتـه بنفسـه، بعدمـا أبعـد الدكتـور الميكرفـون وانحنـى لـه منصتًـا، هتـف عمـر في أذن الدكتـور. بعـد أن وجـد صوتـه، أنهـا تعامـل معاملـة خاصـة. ودخـل بعـد أن أشـار إليـه الدكتـور بالجلـوس، وبعـد أن جلـس عمـر عـلى مقعـده. وضغـط الدكتـور عـلى الجـرس لـكي يخرجهـا. أيقـن أن الدكتـور تفهـم كلماتـه بعـد أن رأى تصرفاتهـا.. واكتملـت المحـاضرة وكان عمـر، والفتـاة حديـث اليـوم بعـد الخـروج مـن المـدرج. خـرج عمـر بسرعـة قبـل الازدحـام، وانتظـر أحمـد خـارج البنايـة. اقتربـت منـه فتـاة في حيـاء، وقالـت بصـوت يـكاد أن يكـون مسـموع:

ـ لو سمحت.

ـ التفت إليها عمر. فوجدها فتاة محتشمة وآية في الجمال فقال بلطف:

ـ نعم.

ـ قالـت الفتـاة وهـي تنظـر إلى أظافرهـا خجـلًا: تـرددت حتـى جئـت لأحدثـك.

قال عمر وهو ينظر إليها: تحت أمرك في أي وقت نحن زملاء.

الفتـاة: شـكرًا لسـعة صـدرك... كنـت أحتـاج إلى بعـض التوضيحـات في مـادة التكاليـف، وبمـا أنـك تتفاعـل مـع الدكتـور فأنـت أهـل لهـا.

عمر وهو يضحك: ليست كما تتوقعين، فإن لديَّ قدرة محدودة.

أفلتـت مـن الفتـاة ابتسـامة وقالـت بمـزح: أنـا لا أحسـدك ... ثـم أردفـت: يسـعدني أن تسـاعدني.

عمـر بـبراءة تحـت أمـرك... واذا كنـتِ تريديـن رقـم الهاتـف يمكنـك الحصـول عليـه. قاطعتـه الفتـاة بحـزم وقـال: لا... لا يمكننـي التحـدث معـك هاتفًـا... وسـوف آتي لـك المـرة القادمـة، لـكي توضـح مـا يتعـثر أمامـي.

هـز عمـر رأسـه، وهـو يشـعر بحـرج وقـال: كـما تريديـن... ثـم أردف: أرجـو أن لا تـسيء فهمـي.

هـزت الفتـاة رأسـها بخجـل وهمسـت: متفهمـة. ثـم قالـت متذكـرة: لمـاذا فعلـت ذلـك مـع الفتـاة؟ ألم تخـف مـن رد فعـل الدكتـور.

عمـر وهـو ينظـر إلى حقيبتهـا هاربًـا مـن عينيهـا: الحقيقـة، الموقـف حـدث في لحظـات لم تصدقينـي. إذا قلـت لـكِ إني حتـى الآن لم أعـرف لمـاذا فعلـت ذلـك؟ وكيـف لم أضـع رد فعـل الدكتـور في الاعتبـار...

الفتـاة موضحـة: كنـت أرقـب الموقـف. وأضحـك عـلى رد فعـل الدكتـور، ولكـن عندمـا رأيتـك تنهـض مـن مقعـدك، واتجهـت نحـو الدكتـور. خشـيت مـن رد فعـل لا يعجبـك ويتسـبب في إحراجـك.

عمر وهو يحك رأسه: وكيف تصفيني حينها.

ردت الفتاة بثقة: رأيت شابًّا شهمًا ينقذ فتاة من سخرية الجميع.

ثـم أردفـت بعـد صمـت قصـير: سـبحان اللـه. لـولا هـذا الموقـف لمـا كنـت تحدثـت معك.

عمر متسائلًا: لماذا؟

الفتاة: رأيت إجاباتك على الفيس بوك... قاطعها عمر وهو يقول:

ـ صحيـح، إني أتفاعـل مـع إجابـة الزمـلاء. ولكـن كيـف عرفتـي أن هـذا حسـابي رغـم اختـلاف الاسـم فحسـابي Loving Justice .

فأحنت رأسها خجلا وقالت برقة: عرفته بطريقتي.

أحس عمر بتحفظها فقال مغيراً الموضوع: تحت أمرك في أي وقت يا..

ـ اسمي آية.

ـ اسمك جميل، يا آية.

ابتسمت الفتاة وتمتمت شاكرة.

في ذلـك الوقـت، جـاء أحمـد واسـتأذنت آيـة. وانصرفـت، وعـاد عمـر إلى المدينـة برفقـة أحمـد.

***

شبيه عمر

في تلك الليلة، لم تذق سارة طعم النوم. فالشخص الذي رأته شبيه عمر لدرجة كبيرة بل هو عمر... تحدثت مع سماح في الهاتف:

ـ سهرانة ليه، يا جميل. قالتها سماح بمزاح.

ردت سارة بنبرة حزينة، وقالت: هل رأيتِ الشخص الذي تحدث مع الدكتور بشأن الفتاة.

سماح والقلق يكسيها: نعم.

ـ إنه عمر. قالتها سارة وأجهشت بالبكاء. ـ عمر مين... يا سارة، اهدأ، أرجوك. وفهميني براحة.

ـ عمر، يا سماح، الذي حدثتك عنه من قبل.

أدهشت سماح ولاذت بالصمت.

ـ سماح. قالتها سارة لتشد انتباه سماح.

ردت سماح بارتباك وقالت كاذبة: هذه مجموعة أ كيف يكون اسمه عمر...

ـ لكن يشبه جدًّا.

يشبه من الشبه أربعين... ثم أردفت:

ـ سأعرف لكي اسمه.

ـ بجد. قالتها سارة بلهفة.

تعست سماح من لهفتها وقالت: طبعا، يا حبيبتي.

ودَّعتها سارة، وظلت جالسة بالقرب من النافذة، وهي تقلب صور عمر في هاتفها، وتدور الأفكار في ذهنها، هل تخبر والديها بما رأته اليوم... وكيف عمر دخل كلية تجارة وهو استكفى بالدبلوم ؟! !... وكيف؟

***

شجاع السيما

أسندت سماح هاتفها على المنضدة بعد مكالمة سارة، وشردت في خيالاتها. وتساءلت كيف عمر هو عمر، ولم يحدثني من قبل، وكيف لم يعرفها فرآها أكثر من مرة ولم تظهر عليه أي ملامح. وعندما تراه هي مرة واحدة تعرفه، كيف ذلك.... بعد تردد، أمسكت بهاتفها واتصلت بعمر:

ـ شجاع السيما ، ولا شجاع المدرج أفضل. قالتها سماح مداعبة.

ضحك عمر وقال : إزيك، يا سماح.

ـ الحمد لله ... وأنت.

ـ الحمد لله في نعمة.

ـ دايمًا... أنت تعرف هذه الفتاة.

تنهد عمر قبل أن يجيبها، وقال: تعرفي، يا سماح، توجد رسائل كثيرة على ماسنجر وواتس أب. جميعهم يسألون السؤال نفسه. سماح ضاحكًا: طبعًا هو في كام عمر. وشردت قليلًا متذكرة أن سارة سردت عليها قصتها من قبل، وأن عمر كان يعاني من فقدان الذاكرة.

ـ سماح. أنتِ ما زلتِ على الخط!

قالها عمر ليوقظها من شرودها.

ـ آسفة... ثم واصلت «غدًا ألقاك» وتمتمت بالسلام.

ـ سلام....

بعد نهاية المكالمة، فكرت سماح بمواجهة عمر وإخباره الحقيقة.

***

قلبه التفت

وفي نفس اللحظات، كان عمر يجلس في الشرفة واضعًا السماعات في أذنه، ويستمع لـ أم كلثوم ويراه أمامه صورة آية. وتناسى موقفه مع تلك الفتاة فحياء آية الذي زادها جمالًا شغل كل تفكيره.

فعندما لمحها غض بصره، ولكنَ قلبه التفتْ

أما آية ظلت طيلة الليل تفكر في الموقف فكيف أتت بكل هذه الجراءة وذهبت إليه، وشكرت صديقتها التي جلبتها إلى مجموعة ج من قبل، وحينها رأت عمر يتألق مع الدكتور، أحست بالغيرة. وفي الوقت نفسه، انتابها إحساس لم تستطع وصفه... هل أعجبت بعمر؟! ربما .. وزادت به إعجابًا، عندما سألته في منشورها وتعامل معها بأدب جم... ومنذ ذلك الوقت، وهي تحاول التقرب إليه.. وحدث بالفعل...

***

ثقيل الدم

في فجر اليوم التالي، تقابل عمر وأحمد أمام باب المسجد عقب صلاة الفجر.

فأجمل ما في المدينة الجامعية صلاة الفجر، دائما المسجد مزدحم مثل خطبة الجمعة.

ـ ستذهب إلى الجامعة اليوم؟ قالها أحمد متسائلًا.

عمر: سآتي معك.

ـ ضحك أحمد وقال: لماذا؟... هل لديكم محاضرات اليوم؟

عرف عمر لما يلمح إليه أحمد وقال مستنكرًا: لا أعرف، ولكن سأحضر معك.

ثم أردف بعد صمت قصير: سآتي من أجلك.

أطلق أحمد ضحكة عالية وقال بخبث: من أجلي أنا؟... غريبة.

ـ الحق عليَّ.... إنك تسيء بي الظن دائمًا. قالها عمر مازحًا.

في الساعة الثامنة، كان عمر يلقي التحية على العم عبدالتواب، ودلف المدرج وهو يلتفت يمينًا ويسارًا بحثًا عن آية... اقترب منه أحمد وهمس في أذنه: إنها تجلس في المنتصف.

ابتسم عمر في حرج ولم ينبس بحرف.

دلفت الدكتورة المدرج... كان لديهم محاضرة مالية عامة، وكانت الدكتورة تعطي مجموعتي أ و ج. وبعد أن غاصت الدكتورة في الشرح وطرحت بعض الأسئلة، ظهر عمر متألقًا أمامها، وحظي عند كل إجابة بابتسامة لا يحظى بها الآخرون. وتفاجأ عندما قالت الدكتورة وهي تشير نحوه.

ـ حضرتك في مجموعة ج؟

التفت عمر حوله قبل أن تؤكد الدكتورة مرة ثانية: نعم أنت.

نهض عمر من مجلسه وقال وهو يهز رأسه: نعم أنا من مجموعة ج.

أشارت إليه بالجلوس، وأكملت طرح الأسئلة قبل أن تسأل سؤالًا صعبًا، فلم تجد سوى عمر وفتاة أخرى رافعين يديهما للإجابة، فقالت الدكتورة:

ـ مجموعة أ كلها لا يوجد سوى فتاة؛ وفي الجانب الآخر، مجموعة ج يمثلها طالب واحد ويعرف الإجابة... علت أيادي أخرى بعد كلمات الدكتور، وسمحت لهم بالإجابة واحدًا تلو الآخر. فلم يعطِها أحد إجابة مقنعة... وجاء الدور على الفتاة التي كانت رافعة يديها من البداية. وحين تحدثت أبهرت الجميع بلباقة لسانها. لم يستطع عمر مقاومة إغراء النظر إلى الوراء، ووجد آية تتحدث... وبعد أن أجابت آية قال عمر في احتجاج عذب : مجوعة أ فقط؟! هذه مؤامرة.

فصدر صوت من خلفه طالب ثقيل الدم سمعه الجميع... وراحت الدكتورة تحدق في عمر كما لو كان مسؤولًا عن إصدار هذا الصوت، ومع أنه خطر لو لوهلة أن يلتفت قليلا ليرى من صاحب الصوت. لم يتحرك عمر حتى سمع نقر الدكتورة على حافة المكتب، وقالت مؤذنة بالختام:

- شكرا، ومع السلامة.

***

بحبك... حلوة القهوة

بعد المحاضرة خرج عمر ووقف مبتعدًا عن الباب في مكان يستطيع أن يرى الخارج من المدرج، لم يلبث حتى باغتته سماح بظهورها من خلفه.

سماح : هل تنتظر أحد؟

هز عمر رأسه بالنفي.

فاقترحت عليه سماح بالذهاب إلى الكافتيريا.

ـ لست جائعًا.

ـ تناول قهوة.

تأكد عمر أنه لن يسلم منها اليوم، فذهب معها ...

بعد تردُّد قالت: فاكر سماح؟

عمر مستفهمًا: سماح؟! هو فيه غيرك؟

وابتسمت مهونة: للأسف، لا يوجد.

ارتشف عمر القهوة وقال: وضحي، يا سماح.

ـ أنا سماح الشرقاوية... ثم أضافت وهي تسرح بنظراتها إلى الفراغ: فاكرني؟

ـ نـــعـــم.... كيـف... قالها عمر وهو يحدقها بعينيه.

أمسـكت بهاتفهـا، وفتحـت حسـابها في فيـس بـوك، وأرت عمـر.... تنهـد عمـر بعدمـا تأكـد... ثـم سـألها بنـبرة تميـل للامبـالاة...: أيـن الـزواج؟

تنهدت سماح، ثم قالت بعد صمت قصير: لا يوجد زواج.

هز عمر رأسه في صمت وهو يلعب بفنجان القهوة لكتم غيظه.

ـ أنـا عرفتـك مـن أول مـرة قابلتـك فيهـا .... قاطعهـا عمـر بإشـارة توقـف بيـده:

وقال بنبرة حزينة وقلة حيلة: ليه فعلتِ ذلك؟

قالـت مهونـة : مـاذا فعلـت ؟... ثـم ثـارت عليـه: أنـت مـن تخليـت عني... كنـت أنتظـر منـك رد فعـل أفضـل.... كنت..

عمـر ضاحـكا: إذا فكـرتِ كذلـك منـذ ثلاثـة أعـوام فلـكِ عـذرك... أمـا الآن كيـف تفكريـن كذلـك؟ هـل تعتقديـن ثلاثـة أشـهر خلـف الشاشـات قـادرة عـلى اتخـاذ قـرار الـزواج؟!! ..

سـماح وقـد مالـت لهجتهـا إلى البـكاء: صديقتـي هـي مـن اخترعـت فكـرة الـزواج.

ـ لا تلومي صديقتك....هي حاولت مساعدتك.

ـ إذن، لماذا تلومني الآن؟

ـ أنا ألومك على تفكيرك الآن، ليس على ما فات.

ـ بحبك.

ابتسـم في حـرج، وهـو يهـرش مؤخـرة رأسـه في ارتبـاك، وقـال مغـيراً للموضـوع: حلـوة القهـوة.

لم تنبس سماح بكلمة، أطرقت خاشعة في صمت واستكانة، وقد بدا عليها الانكسار.

ثم في حركة فجائية دلقت القهوة عليه. ومضت مسرعة ما أمكنها ذلك، فهذا أفضل رد عليه.

التفت عمر حوله قبل أن ينظف ملابسه، وعاد إلى المدينة الجامعية مسرعًا.

***

لكنك بخلت

كلمة واحدة منك كانت كفيلة بإعمار هذا الخراب؛ لكنّك بخلت... هكذا حدثت سماح نفسها بجوار نافذتها..... والدموع تتسلل على خديها، مسحت دموعها بيديها، والتقطت الهاتف من على المنضدة، واتصلت بهاجر وسردت كل الأحداث التي شهدتها الأيام الماضية. نصحتها هاجر بعدم التفكير في الماضي. ولم تعاتبها فتعلم أن الذي بها يكفي ولا تتحمل أكثر من ذلك. وبعد الانتهاء من المكالمة، فكرت في الاعتذار إلى عمر، اتصلت به واعتذرت. وقَبِل الاعتذار، فهو يعلم بما يحمله قلبها. وعقب الانتهاء، غرقت في نوم عميق.

مُمَزقة أنتِ وتائِهة بينَ نُضوج عَقلك وطفولة قلبك

***

بنت حقوق

كان عمر جالسًا بجوار الكافتيريا وحيدًا، اقتربت منه فتاة فقالت برقة: السلام عليكم.

رفع رأسه وقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... ثم بادرته الفتاة وهي تذكره بما حدث له البارحة... ارتبك عمر فهو التفت ولم يجد أحدًا يتابعه... فقالت الفتاة بعدما تأكد أنها رأته: البنت التي كانت معك مجنونة بحبك.

نظر عمر لها بغرابة وقال ساخرا: وأنتِ عرفتِها من طريقة دلق القهوة أم من نوع القهوة؟

فقامت الفتاة بركل قدمه وقالت وهي تجز على أسنانها: ظريف الأخ.

كانت الركلة مباغتة لعمر، كما أنها ركلته بحركة طفولية. لم يعرف ماذا يفعل يضحك على تصرفها أم يتضايق منها... فأردفت الفتاة: آسفة... ولكن أنت تستأهل.

ظل عمر حائرًا بين كلامها. تعتذر أم تتمادى؟ فلم يعرف بماذا يجيب فقالت وهي تلوح بيديها: تمسك بها وهي تعني في قولها: سماح ... فقبل أن يجيب قاطعهم صوت شاب موجهًا حديثه للفتاة: هيا، يا

رباب، المحاضرة على وشك البدء. اتخذ الأمر من عمر ثانيتين قبل أن ينطق أنتم مجموعة ب.

فقالت الفتاة ‹‹رباب››: نحن في كلية حقوق.

فأضاف الشاب بمزاح: نأتي هنا لزيارة الكافتيريا.

فقالت الفتاة مبتسمة لأول مرة: سلام، يا..؟

- عمر، اسمي عمر.

- سلام، يا عمر.

عاد عمر إلى المدينة الجامعية، وحكي لأحمد عن تلك الفتاة وتصرفاتها....

***

اللقاء الأول بعد الفراق

منـذ أن رأتـه في المـدرج، وهـي تلـح عـلى سـماح أن تختلـق لهـم مجلسًـا، لتقـترب منـه وتتأكـد مـن هويتـه.. لم تخـبر والديهـا بمـا رأت خشـية مـن العواقـب. وبعـد أسـبوع مـن الإلحـاح الممـل، نفـذت سـماح مـا وعـدت. وهنـا، أيقنـت أن الـذي يحدثهـا هـو عمـر، و تأكـدت... أن حياتـه مليئـة بالمواقـف والتفاصيـل والأحـداث: يتنفـس، يعشـق، يصمـت، يضحـك، يُفكـر، ويتأمـل، .... منـذ أن افترقنـا حكاياتـه لا تنتهـي، لا تُعـد ولا تُحـصى..... بينـما عمـر كان يـشرح لهـا بحـماس.... وباغتهـا:

- هل التقينا من قبل؟

جـاءت كلـمات عمـر مباغتـة... فظهـر عليهـا الارتبـاك. وقالـت بعـد تلعثـم: مـن المؤكـد أنـك رأيتنـي في الجامعـة...

هز عمر رأسه متفهمًا ثم واصل شرحه:

بينـما كانـت سـماح تراقـب الموقـف، و ترسـم عـلى وجههـا ابتسـامة مرحـة، تخفـي بهـا آلامهـا...

بعدما انتهى عمر من الشرح، اقترحت سارة أن يذهبوا إلى الكافيتريا....

- أخـذت تتوعـد سـماح في سرهـا... لكنهـا هتفـت في احتجـاج مـرة ثانيـة: يـا سـارة.

- وجـاء رنـين أحمـد لينقـذ الموقـف، ويأخـذ عمـر مـن بينهـما... ودَّعهـم وانـصرف.

***

الشرقاوي

- ليه يا أحمد اتصلت بعمر وضيعت عليه القعدة الحلوة. قالها مدحت مداعبًا.

- ابتسم عمر وقال: أنتم متفقون عليَّ.

أحمد وهو يغمز لمدحت: لا توجد مساحة من وقتك لشرح بعض الدروس. ثم أردف بعد إطلاق ضحكة: ولّا لازم نرتدي طرحة؟

عمر وهو يضرب أحمد بمرح: تفتكر سيكون شكلك جميلًا ومغريًا للشرح.

مدحت: لكن البنت دي جديدة .

عمر وهو يستدير نحوه: بنت؟!

مدحت موضحًا: سارة.

أحمد وهو يضحك: أنت تعرفها؟

مدحت: طبعًا.

نظر عمر إلى مدحت باهتمام وقال متسائلًا: صديقتك؟

مدحت وهو يغمز: لا.

أحمد مداعبا: يبدو عليك الاهتمام بأمرها.

عمـر وهـو يعـدل لياقـة قميصـه: لا أعتقـد ذلـك..... أول مـرة ألتقـي بهـا، ولكـن أحسسـت أنّي أعرفهـا مـن قبـل.

مدحـت: كان لـديَّ صديـق تعرفـت عليـه في أحـد الأنشـطة الجامعيـة، حدثنـي عنهـا منـذ سـنتين، وحدثنـي عـن أبيهـا وشركتـه التـي يعمـل بهـا...

هـز عمـر رأسـه موافقًـا عـلى قولـه، ثـم قـال مغـيرًا للموضـوع ومداعبًـا للشرقـاوي: مـش تخليني أضربـك؟

ضحك مدحت وقال: تسخر من أبناء العم، يا صعيدي؟

عمـر مصالحًـا: لا ولكـن أحـب حديثكـم، فأنتـم تشـتهرون بكلمـة مـش تفعـل... مـش تتكلـم.. مـش تقول...مـش تكـثر ...

مدحت وهو يضرب كفيه: مش عارف أنتم تغارون من لغتنا ليه؟!!

ضحك أحمد وعمر على كلامه....

***

المحاضرة

في إحدى المحاضرات، جلست سارة بجوار عمر. وتسألت عن ملازم في مادة التكاليف. تبادلا أطراف الحديث بعدها لمدة ربع ساعة. تطرقوا فيها عن أشياء عديدة متعلقة بالدراسة قبل إقبال الدكتور إلى المدرج... وعلى الجانب الآخر، كانت تجلس آية تحس بنظراته التي تتسلل إليها بين الحين والآخر، لكنها تجاهلت نداءات عينيه. وعقب انتهاء الدكتور من المحاضرة، سألته سارة عن بعض النقاط في المنهج، وأجاب عليها ببراعة، وقاطعهم قدوم آية وهي تحمل كتابًا منفرجًا على صفحة بها أسئلة. بعد أن تناقشت معهما أحست بأن تدخلها لقي قبولا حسنًا... وجاء صوت العم عبدالتواب ليطردهم من المدرج، فأخذت آية منه موعدًا الغد قبل المحاضرة....

لم تغفل عيناه وهو يتأمل عينيها العسليتين وابتسامتها الساحرة تطارده طوال الليل...

***

كيف حالك جدًّا

في اليوم التالي... قفز عمر من فراشه مع أول خيط من نور الصباح، وانكب على مكتبه، استعدادًا للنقاش مع آية، وقبل الموعد بساعة ارتدى أفضل ما عنده. ووقف أمام المرآة يصفف شعره... ذهب إلى الجامعة... جلس منتظرًا على مقعد أمام مدرج أ & ب ينظر في الظهور ويتأملها ... بعدما أفاق من خيالاته. وجد آية تجلس على بعد مترات... رآها تتقدم وتقترب منه على استحياء. ابتسم وحياها فهي لا تصافح الرجال. أشار إليها بالجلوس فرفضت ببرود، فوقف وقال لها: اجلسي. فتمادت بالرفض، ورسمت على شفتيها ابتسامة عريضة، فقال عمر محدثا نفسه: المرأة كالدنيا فيها تقلبات الفصول الأربعة. أعاد النظر إليها فوجدها تنظر في الخلاء، فقال مبتسما: ما رأيك في احتساء فنجان قهوة.

بادلته الابتسامة، وهي تهز رأسها موافقة... بعد حصولهما على القهوة، وقفا بالقرب من المكتبة المركزية، نظرت له وكأنها تدرسه وقالت ببطء: أصدقاؤك كثيرون.

ابتسم عمر لطريقة كلامها وقال: لا أعتقد ذلك.

- قالت وهي تلوح بأصبعها في وجهه في حركة طفولية: أنت كل يوم مع فتاة.

خفـض رأسـه في الأرض هربًـا مـن عينيهـا وقـال: وهـؤلاء لسـن صديقـاتي، فهُـن زميـلات دراسـة فقـط.

- سارة وسماح وياسمين ورباب ودعاء جميعهن صديقات؟!!

نظر عمر إلى عينيها مندهشا وقال: رباب؟!!

قالت وهي تنظر إلى لا شيء: رباب حقوق.

وضع يده على فمه في حركة طفولية وقال: وكيف عرفتِ رباب...

في حديثها توجد أسئلة لا يمكن الإجابة عنها.

ابتسم عمر موافقًا.

- جميلة هذه المكتبة. قالتها وهي تشير إلى المكتبة المركزية.

- لم أدخلها من قبل.

- ما رأيك في الدخول الآن. قالتها وكأنها نسيت نفسها.

- لا يوجد مانع.

قادتـه إلى المكتبـة واقتنصـت دور المرشـد السـياحي، وعرفتـه عـلى جميـع أركانهـا... انبهـر بثقافتهـا، وأخـذت تصـول في كل حـوار بينهـما. كانـت لهـا خلفيـة في التاريـخ والروايـات وتعشـق د. مصطفـي محمـود وأنيـس منصـور ونجيـب محفـوظ... أحـس عمـر بقلـة الحيلـة أمـام ثقافتهـا وظلـت آيـة تسـتعرض مهارتهـا في المعرفـة... قبـل أن تـأتي موظفـة بالمكتبـة، وتطلـب منهـم عـدم الـكلام حرصًـا عـلى هـدوء المـكان. اقتنصـت آيـة كتـاب للدكتـور مصطفـي محمـود، بينـما عمـر ظـل يـتردد بـين الكتـب، يتفحصهـا ويتركهـا بحثًـا عـن كتـاب يعجبـه. في النهايـة، أخـذ كتـاب دون أن يتفحصـه، بعدمـا رأى في عينـي الموظفـة غضبًـا وتزمـرًا ناتجًـا عـن تصرفاتـه، جلـس موازيًـا لآيـة وبـدأ يقلـب الصفحـات بأناملـه، وهـو ينظـر إلى الموظفـة تـارة، وينظـر للكتـاب تـارة

أخـرى. أفلتـت مـن الموظفـة ابتسـامة نابعـة عـن أفعالـه الطفوليـة. ابتسـم، وأعـاد النظـر مـرة أخـرى قبـل أن تلاحـظ آيـة شـيئًا، فوقـع نظـره عـلى صفحـة تحـوي القليـل مـن الكلـمات. بـدأ القـراءة.

أنا خجول جدًّا، لا أستطيع قول أحبك

وكلـما قـررت القفـز عـلى تقاليـدي الصعيديـة لأقولهـا خرجـت : كيـف حالـك؟

اعذريني: لأنني كيف حالك جدًّا ...

ارتسـمت عـلى وجهـه ابتسـامة، قبـل أن يطـل على الموظفـة، وبادلتـه الغمز في حركـة شـبابية، كأنهـا قـرأت معـه هـذه السـطور. بعـد نصـف سـاعة مـن القـراءة الصامتـة. عـاد عمـر يتحـدث مـع آيـة في خفـوت .... تحدثـا في أمـور كثـيرة تخـص الكليـة، وانجـرف الحديـث إلى التحـدث عـن شـخصيتيهما. فكانـت تحـاوره دون تـردُّد، وتحدثـه عـن عائلتهـا وعـن أصدقائهـا في الابتدائيـة. وقـد سرهـا أن تجـد مـن يصغـي لهـا في اهتـمام وشـغف...

حدثهـا عمـر عـن الصعيـد وعـن جمالـه ووضْـع الفتيـات فيـه... تمنـت آيـة العيـش في الصعيـد طبقًـا لتخيلاتهـا التـي بنتهـا مـن الحديـث عنـه....

مـضى الوقـت سريعًـا... وغـادرا المكتبـة بعـد أن دقـت عقـارب سـاعة الجامعـة لتعلـن عـن السـاعة الخامسـة مسـاءً... تحدثـا قليـلًا خـارج المكتبـة قبـل أن تغـاد آيـة. وانتظـر عمـر قليـلً،ا ثـم سـلك نفـس الطريـق... عـاد إلى المدينـة الجامعيـة، بينـما هـي ركبـت الأتوبيـس قاصـدة بيتهـا...

***

المدينة الرياضية

عاد عمر إلى المدينة الجامعية، دلف الغرفة، وجد أحمد منكبًّا على مكتبه. وعند دخوله، طوى أحمد الصحف، ومدد جسده على السرير ليستريح قليلًا. وبعد أن بدل عمر ملابسه، ورتب فراشه، ومكتبه وفوح الرائحة في الغرفة، ذهب إلى الحمامات وهو حامل غلاية الشاي ليعد الشاي. بينما هو يسير في الممر، وجد طلابًا من كلية الطب يتشاورون في النزول إلى الملاعب. لم يعطِهم اهتمامًا وأكمل سيره... أعد الشاي وانكب على المكتب، وأخذ يراجع دروسه، بينما أحمد ظل ممدِّدًا جسده، ويلهو في هاتفه ليأخذ راحته كاملة... بعد خمس دقائق، طرق الباب، فنهض عمر من كرسيه وفتح الباب، كان الطارق د. ياسر الذي سكن معه العام الماضي.. رحب به ولكن ياسر لم يدخل في الغرفة، لأنه لمح جسدًا ممدَّدًا على السرير، فظن أنه نائم ... بعد أن استوى أحمد جالسًا على حافة السرير، استطاع رؤية ياسر عليعلى الباب بجانب عمر فقام وصافحه.

- ما رأيكم أن تأتيا معنا لممارسة كرة القدم؟ قالها ياسر مبتسما.

نظر أحمد إلى عمر وقال: ما رأيك، يا عمر؟

حك رأسه بسبابته وهو يفكر... فأردف أحمد: إنه على الأقل نخرج من أجواء الدراسة الخانقة وجدران الغرفة الضيقة.

وافق عمر وذهب معهم إلى الملاعب ... كانت الأجواء ممتعة وممتلئة بالحماس، عرف الكثير من ساكني جناحه بالمبنى في الملعب، قضى يومًا جميلًا... وبعد الانتهاء عادوا إلى غرفهم...

بعد أن أخذ حماما، استلقى على السرير متعبًا بينما أحمد كان يجمع ملابسه من على حبل الغسيل، فقال أحمد بصوت واضح لكي يسمعه عمر: يوم ممتع.

- رائع للغاية... أنا أول مرة أنزل الملاعب.

أحمد وهو يحمل الملابس: الأفارقة هم من يلعبون دومًا.

عمر ضاحكًا : دائمًا ما أراهم يحملون الكرة ويذهبون تجاه الملاعب. لا أعرف هم جاءوا من بلادهم للعب كرة القدم أم الدراسة؟

ضحك أحمد وقال: في الترم الثاني، سأخصص وقتًا للملاعب، فالرياضة تمدنا بالطاقة والحيوية.

ابتسم عمر وهو يسحب كرسيه وقال: هيا لننجز ما فاتنا... جاء موعد العشاء فذهبا إلى المطعم بعدما اتصل بهم مدحت ليعجلهم..

- أين مدحت. قالها عمر متسائلًا.

أحمد: ذهب ليبتاع طعمية.

بينما هما في طريقهما صوب المطعم كان يسير أمامهما أفريقي طويل القامة، نحيف، يمشي وبنطلونه المدلدل الذي يكشف عن مؤخرته، ويمشي به مشية البطة على حافة الترعة الزراعية.... كتم عمر وأحمد ضحكاتهما.. بعد وصولهما للمطعم انتظرا مدحت قليلا قبل أن يدلفوا المطعم رافعين بطاقات المدينة ليحصلوا على وجباتهم، فرشوا الطعام على الطاولة المربي والجبنة و الفول والطعمية بالسمسم الساخنة من صبري وأرزًا باللبن للتحلية.

***

مكالمة من مجهول

اقتربت الامتحانات، واستعد عمر إليها... أحب عمر العيش مع أحمد خصوصًا في أيام الامتحانات، فهو يخلق له عزلة يستطيع بجانبه أن ينكب بالساعات على مكتبه...

بعد أن أعد الشاي وجلس على كرسيه وأخذ وضعية الطالب المثالي في جلسته وبدأ يقلب الصفحات... رن هاتفه برقم ليس مسجلا لديه.. نظر إليه وتغاضى عن الرد ، فهو يدرك قيمة الوقت في مثل هذه الأيام ..

رن مجددًا.. أجاب: آلو.

رد عليه صوت رقيق: عمر، مع حضرتك رباب.

- معذرة، رباب من؟! سألها مستغربًا.

- رباب زميلتك في الجامعة...

- أهلا، رباب.

- أهلًا بك..آسفة إن اتصلت بحضرتك في ذاك الوقت، ولكن حاولت التواصل معك عبر الفيس بوك، ولكنك كنت غير نشط.

- الحقيقة أنا لم أمسك الهاتف طيلة اليوم.

- اللـه يعينـك.. ثـم أردفـت: كنـت رأيـت بعـض الأسـئلة عـلى مجموعـة الدفعـة، ولكـن تعـثرت في حـل سـؤال.

- نظـر إلى صديقـه أحمـد الـذي يذاكـر بجـواره. وقـال: سـأقوم بفتـح الفيس بـوك الآن، وأتواصـل مـع حضرتـك لشرح السـؤال.

تمتـم شـاكرًا لسـانها، ثـم ودَّعتـه: سـلام ... سـلام. أغلـق أحمـد كتابـه، والتفـت إليـه مبتسـمًا وقـال: هـي ربـاب حولـت مـن حقـوق إلى تجـارة.

جز عمر على أسنانه وقال: رخم، وربي.

ضحك أحمد وقال: تشرب قهوة؟

نظـر عمـر مندهشـا، فهـو ليسـت معتـادًا عـلى شرب القهـوة أو ذلـك الحنـين، فـأردف أحمـد: أكمـل مـا بيـدك، وأنـا سـأحتسي شـايًا.

- أعد لي القهوة كما وعدت. قالها عمر غامزًا.

بادله أحمد الغمز وهو يقول: يسهلوا.

راح أحمـد يعـد القهـوة والشـاي، بينـما عمـر جلـس عـلى السريـر ممسـكا بهاتفـه يحـاور ربـاب... بعـد أن انتهـى مـن إعـداد القهـوة أسـندها إلى مكتـب عمـر. قـام عمـر وجلـب بسـكوت أوريـو مـن حقيبتـه، وتناولـه مـع رشـفات القهـوة، فهـو يتمتـع بذلـك كثـيرًا. أنهـى عمـر حـواره في عجلـة بعدمـا يـأس مـن فقـر اسـتيعابها. وأغلـق هاتفـه وعـاد لمراجعـة دروسـه....

- في الترم الثاني، أبحث عن غرفة. قالها أحمد مداعبًا.

ضحك عمر وقال: كلما أنظر إلى حالي الآن ومن قبل أتعجب.

- أحمد وهو يحك رأسه بقلمه: كيف!

عمـر متبسـما : كنـت أتخيـل أن الطالـب المتفـوق صعـب أن أكـون مثلـه كنـت أراهـا بعيـدة المنـال.

- لا يوجد شيء صعب... أمام الإرادة.

- طبعا... صحيح أنني أبذل جهدًا واسعًا، ولكن لكل مجتهد نصيب.

- بالتأكيد ....

***

حظ سعيد

- كلمته البارحة، وادعيت اسم رباب. هكذا قالت سماح.

سارة وهي تقرض أظافرها: وما الخطة القادمة؟

- أنـا تواصلـت مـع صديقتـي هاجـر، فزوجهـا دكتـور، وعرفـت منـه أن المريـض بفقـدان الذاكـرة المؤقـت، لـكي يسـتعيد ذاكرتـه يجـب تكـرار الـشيء المـراد تذكّـره.

سارة وهي تقترب منها باهتمام: كيف نكرر الاشياء؟

- لا عليك... اتركي الأمر لي.

في هـذه الأثنـاء، لم تعلـم سـارة بـأن عمـر كان حبيـب سـماح في المـاضي... امـا سـماح فأحسـت أن الاسـتمرار مـع عمـر في ظـل هـذه التدخـلات خطـأ. وتمنـت لـه حظًّـا سـعيدًا، واعتـادت عـلى فقدانـه كحبيـب واسـتقبلته كصديـق جديـد... في البدايـة، كان الأمـر صعبًـا، ولكـن وجـود هاجـر بجانبهـا شـجعها عـلى ذلـك. فتـتردد كلـمات هاجـر في ذهنهـا «لا تجعليـه كل شيء.. لأنـك لسـت لـه كل شيء».

***

التفوق

بعـد انتهـاء امتحانـات الـترم الأول... وقبـل أول محـاضرة في الـترم الثـاني، التقـى عمـر و آيـة بالمـدرج، كان عمـر جالسًـا منفـردًا،

فبادرته بالسؤال عن نتيجته.

لـوى فمـه امتعاضًـا وقـال: لمـاذا تريديـن معرفـة نتيجتـي؟ أخبرينـي أنـتِ أولا.

رفعت كتفيها وأخفضتهما وهي تقول:

- ببساطة : لا.

فصمت حائرًا.. فقالت ضاحكة: امتياز.

نظر إليها ثم أردفت: وأنت.

قال بنبرة حزينة: جيد جدًّا.

فقالت مشجعة: انسَ اللي فات وركز في ما هو آت.

فقال موضحا: سبب سوء درجتي مادة الإدارة المالية.

- أغلب الطلبة اشتكوا من ذلك ...

- رغـم أني كنـت جيـدًا مـع الدكتـور، ولكـن لم يسـعفني الوقـت في اسـتكمال حـل الامتحان.

- ركز في القادم... عدني الآن أن تفعل كل ما بوسعك.

فقال مبتسما: أعدك. ثم واصل: كيف حالك؟

نظرت له بتعجب قبل أن تجيب: الحمد لله بخير.

فقاطعهم صوت العم عبدالتواب وهو ممسك الميكرفون ليتأكد من صلاحية استخدامه، وعقبها دلف الدكتور المدرج... أعطاهم الدكتور في نهاية المحاضرة مسألة وطلب منهم حلها في المحاضرة القادمة...

في المحاضرة التالية... شرع الدكتور في حل المسألة فجاءه صوت رقيق من بين الطلبة، ليذكره بأنه ترك الحل لهم. ابتسم متوقفًا عن تكملة جملته ليعطيهم الفرصة أن يكملوا ما يريد سماعه منهم... في هذه اللحظة، تجسد أمامه عمر واقفًا وسط الحضور، سمح له بالإجابة. فقال عمر بصوت حيوي الإجابة. فقد أمضى عدة ساعات يتحدث في مخيلته، ويعيد صوغ الجمل نفسها مرات ومرات باحثا عن أفضل وسيلة ليعبر فيها عن إجابته، فرفع الدكتور حاجبيه فوق حافتي نظارته لائذًا بالصمت.. فسأله سؤالًا آخر ليتأكد من معرفته، فأجاب عمر وهو يتحدث وعيناه ثابتتان، كما لو أنه كان يقرأ من كتاب غير مرئي. ابتسم الدكتور، ومنحه شكولاتة. أخذها مبتسمًا، فتسللت له هتافات الزملاء طمعًا في الشكولاتة.. عقب انتهاء المحاضرة....

جاءت له فتاة وشاب يسألانه عن شيء في المنهج، استطاع عمر تمييزهم فكل منهم معترض على إجابة الآخر. وجاءوا إليه ليفصل بينهم... بعد أن طرح السؤال وسمع الإجابات منهم. أشاح بنظره غير موافق على الجوابين. وقبل أن يحرك شفتيه ليجيب، اعترض عليه الشاب، وكان يتحدث بمباهاة وغرور، فسكت عمر ولاذ بالصمت فقامت الفتاة لتغادر المكان وهي تقول:

- معـذرة يـا عمـر. بينـما الشـاب غـادر غاضبًـا، فعـادت إليـه الفتـاة مـرة أخـرى. وسـمعت شرحـه للإجابـة فقالـت متسـائلة: لمـاذا لم تخـبره بالجـواب؟ فقـال بثقـة: إنـه جاهـل مغـرور أثـار غيظـي بـكل هـذه المباهـاة والغـرور، فقـدرت أنـه لا يسـتحق هـــدية المعرفـة

- ابتسمت الفتاة في حياء. .

ثـم جـاءت كالعـادة طلاسـم العـم عبدالتـواب لتخرجهـم مـن المـدرج، لم يحـاول أحـد أن يفكهـا، اعتـادوا عليهـا...

***

مجنونة لكنها جميلة

خرج عمر من المدرج فوجد آية تصعد السلالم الرخامية في طريقها لمكتبة الكلية. وقف أحمد مع زملائه، وهو يتعجل في الحديث ليصعد خلفها. وبعد خمس دقائق، انتهى النقاش، وصعد عمر السلالم، سمع قدميها وهي تتحرك على السلم نازلة... دهشت لمرآه.. فقال متظاهرًا بالدهشة.

فرصة سعيدة... وقفت بحشمة ورزانة كأي فتاة مهذبة، وقالت: انتظرتك كثيراً خارج المدرج. اعتذر لها... فلاذت بالصمت.. فاستطرد وهو يغض بصره في حياء:

- كيف حالك جدًّا؟

اتسعت عينا آية مما سمعت.. حاولت أن تركب الجملة، فلم تجد مجالًا له.. فظنت أنها سمعت «كيف حالك»، فقالت: الحمد لله بخير.

بينما كاد عمر أن يضع يده على فمه في رد فعل لما بدر على لسانه ولكنه تماسك وقال: بشيء من الثبات: ما رأيك في الذهاب إلى المكتبة المركزية؟... فأجابت معاندة في خفة: لا... فتساءل عن السبب... فنظرت في ساعتها الصغيرة وقالت: يجب أن أعود إلى البيت الآن ... وأضافت وهي تغادر... «سلام» ... فقال عمر محدثا نفسه وهو يخبط كفيه: مجنونة، لكنها جميلة.

***

في كلية حقوق

في يوم، لم تكن به محاضرات. كان عمر يتصفح الفيس بوك، فأرسلت رباب طلب صداقة فقبله عمر، وأرسل لها تهنئة... فتبادلا الحديث.. وانتهت المحادثة بنزول عمر إلى الجامعة. ولكن هذه المرة لكلية الحقوق.. كانت أول محاضرة لذلك الدكتور، فهو لم يأتِ أول أسبوع... جلس عمر بجوار رباب والشاب واربع فتيات أخريات... وكالعادة ظل الدكتور يسرد تاريخ كلية الحقوق، وعرف عمر أن سعد زغلول، ومصطفي كامل، وصدام حسين، وعدلي منصور تخرجوا في هذه الكلية... وانجرف الحديث إلى ذاته وبطولاته في هذه الكلية. وابتسم عمر عندما عرف أنه كان ساكنًا بالمدينة الجامعية... وكانت الدموع تطرق باب عينيه، عندما حكي عن حفلة تخرجه برفقة أبيه... استمتع عمر بالمحاضرة...

وبعد نهاية النصف الأول من المحاضرة وخرجت الطلاب للاستراحة... اقترحت رباب أن يذهبوا إلى المقهى... رمقها عمر بعينيه، وهو يحاول أن يستوعب الموقف... فهو يواظب على جميع محاضراته... تحركوا صوب المقهى جميعًا، عمر ورباب والشاب والأربع فتيات... جلسوا على المقهى. جاءهم النادل متبسمًا... فطلب عمر قهوة وطلب الآخرون مشروبات متنوعة... تبادلوا أطراف الحديث. وازدادت الجلسة جمالًا بلعب الدومينو.

وما أن فرغ من اللعب فوجد فتاة تتناول فنجانه، وراحت تقرأه وهو يتابعها باهتمام في الظاهر واستخفاف في الباطن. فقالت له: أنت واقع في مشكلة، ولا تبالي بها وغيرك مهتم لأمرك. ضحك وهو يقول: ربما دون اكتراث... الجميع من بعده طلبوا من النادل قهوة طمعًا في قراءته....

***

التغير

حاولت سماح كثيراً في ايجاد خطة، فلم تجد ما يروق لها... وانتهى الترم الثاني، وبقي عام أخير يفصلهم على تخرجهم... أنهت الفرقة الثالثة، ولحسن الصدف كان تقدير عمر وآية وأحمد نفس الدرجات طبق الأصل. امتياز.... كانت لآية دور كبير في ذلك، فأصبح يتردد على المكتبة كثيراً ويتطلع إلى الثقافات الأخرى... في الفرقة الرابعة، كان عمر أكثر خبرة في التعامل ولكن تلقى درسًا بسبب تطوير نظام التسكين. وخبرته لعبت دورًا فهو تقبل الأمر بصدر رحب... سكن مع توأمه أحمد الذي أصبح يعرفه اكثر من نفسه... أما سماح فلم يعد يراها إلا لمامًا... أما آية اختارت تخصصًا مختلفًا عنه قسم الإدارة وهو تخصص في المحاسبة. ولكن ظل يلتقيان يوميًّا في المكتبة... وبالنسبة إلى رباب حقوق، تزوجت ولم تعد تنزل الجامعة... تغيرت أوضاع من حوله... أما سارة فظلت بجانبه....

***

موحه

- إزيك؟

- سماح.. أخبارك؟

- الحمد لله بخير.. وأنت؟

- الحمد لله في نعمة...

قالت ضاحكة: لم أرك منذ أيام.

فقال وهو يحك دقنه الخفيفة: مشغول في المذاكرة.

- وما أخبار سارة؟

- لم أرها منذ أسبوع.. اتصلي بيها. واطمئني عليها.

أمسكت بهاتفها، ووضعته على أذنها... سمعت الجرس دون إجابة... قالت بعد أن أخفضت هاتفها: لم ترد.

- ابقي طمنيني عليها.

- حاضر... سلام.

- سلام، يا موحه.

***

سامحيني

بينما والدة سارة تعد الطعام في المطبخ، اقتربت منها سارة وهي تقول: أمي.

التفتت إليها عفاف فقامت باحتضانها والدموع تسيل على وجنتيها: سامحيني، يا أمي.

عفاف: على ماذا، يا بنتي.

لم تجب سارة على سؤالها، وظلت تتمتم بحرقة، فهي لا تستطيع أن تقول. فهي ظنت في يوم ما أن والدتها لها علاقة بغياب عمر. ثم قالت بعد أن سيطرت على أعصابها: يوجد شيء يجب أن أخبرك به.

هتفت عفاف والقلق يعتريها: خير يا سارة؟

سارة : قابلت عمر.

عفاف بلهفة: أين... هل حدثتِه... لماذا لم تأتِ به؟

سارة وهي تحاول السيطرة على نفسها: عمر معي في الكلية.

- نعم. قالتها عفاف مندهشة مما سمعت.

- نعم إنه في كلية تجارة... أتم المعادلة والتحق بالكلية.

- وعرفتِه بعد ثلاث سنوات؟!!

- لا يهم متى عرفته، ولكن الآن نحن نحاول في أن نسترجع ذاكرته...

ثم سردت خطتها... وقبل الانتهاء، جاء الشيخ وأخبرته عفاف بما حدث... واتفقوا مع سماح على الخطة.

***

صعيدي قفل

سـماح: عمـر حـضَّر نفسـك اليـوم بعـد المحـاضرة. سـنذهب إلى سـارة في منزلهـا.

عمر أطلق صفيراً مذهولًا مما سمع.

ردت سماح بحنق: أنت لا تعرف أن سارة مريضة؟

هز عمر كتفيه علامه الجهل التام ثم قال

بدهشة : كيف أذهب إلى فتاة في منزلها!!

سماح ضحكت ضحكتها الساخرة المنهكة.

عمر في استغراب: إيه سبب الضحك؟!!

سماح: يا بني، أنت في القاهرة.

عمر: بس أنا صعيدي.

سماح وهي تمزح: صعيدي قفل.

عمر نظر إليها متبسما: أنا خائف القفل يصدي في أجواء القاهرة.

عقدت سماح ذراعيها، وقالت: هو لسا مش صدّى.

عمر بسخرية، وهو يتقمَّص شخصية مدحت الشرقاوي: مش صدى.

سماح: طيب حضر نفسك.. أنا سأغادر الآن...

ثم تابعت: مدحت زميلك قادم.

غادرت وجاء مدحت، وتبادلا السلام. وعمر يفكر في هذه الورطة ولكن لم يخبر مدحت بما يفكر، لأنه من الشرقية، وأكيد عادتهم وتقاليدهم تختلف عن القاهرة، ولن يستفيد منه. ذهبا إلى المحاضرة معًا، وبعد المحاضرة تحدث عمر مع زميله إسماعيل لأنه من القاهرة، وهو أكثر شخص يمكن أن يستفيد منه، شرح له الموقف... أخبره إسماعيل: هكذا يفعلون في القاهرة.. وعليه ألا يقلق.. الوضع هنا يختلف عن الصعيد. ثم أشار لعمر وهو يقول: أنت لم تشاهد من قبل أفلام أبدًا؟!! وقاطعهم العم عبدالتواب وهو يشير لهم بترك المدرج، غادَرا المدرج. والتقى بسماح وطلب منها تأجيل الذهاب إلى سارة للغد... ودَّعها واتجه إلى المدينة الجامعية. عاد إلى غرفته والتقى بأحمد الذي كان منهمكًا في مذكراته... فبدا مهتمًّا برغم حالته التعسة. سأله على أحواله كعادته.. وعمر يحب ذلك فمن يكره الاهتمام.

عمر وهو يجلس لاهثًا: أنا ليست بخير على الإطلاق.

أحمد: هي قالت لك خلينا إخوات.

عمر: هي مين يا أحمد؟ أنا بتكلم جد.

أحمد: خيرًا، يا عمر ماذا بك؟

عمر: صديقتي مريضة، وأنا مطلوب مني الذهاب لزيارتها.

أحمد: وما المانع في ذلك؟

عمر: نظر إليه في تعجب.. إذا كنت في موضعي تستطيع الذهاب؟!!

ابتسم أحمد ابتسامته ساخرة وقال: طبعا.. ليس الأمر عسيرًا.

عمر: اتفقنا.. ستصاحبني في الذهاب.

أحمد: لكن.. أنا مشغول بالمذاكرة..

عمر: تبسم بخبث.. لا تتهرب.

أحمد: أمري إلى الله.. حاضر.. الآن تعال اجلس على مكتبك وذاكر.

ومضى اليوم....

في اليوم التالي، التقى بسماح... ألقت سماح عليه التحية وهي تنظر إليه بسخرية، وتقول فيه قفل بالشياكة دي؟..

قابل عمر السخرية بهدوء وقال: طول عمري شياكة.

سماح غمزت له وهي تقول: أنت باشا، يا باشا.. هو فيه زيك، يا شياكة.

أقبلت صديقة لسماح وعانقتها بحرارة وهي تقول: وحشتيني أوي، يا سماح.

ثم القت صديقة سماح التحية على عمر. وهي تقول: إزيك، يا عمر.

نظرت سماح إلى صديقتها وتساءلت: أنتِ

تعرفين عمر؟

قالت: الكلية كلها تعرف عمر.. إنه أشهر من النار على العلم.

ضحكت سماح بطريقة استفزازية وقالت: يا بختك، يا عم عمر.

في هذه اللحظة، كان عمر ينظر لصديقة سماح بإعجاب شديد وهو يراها محتشمة وحجابها الذي زادها إشراقًا...

قالت سماح بصرامة: أنت ستذهب إلى المدينةالجامعية، ولا نروح لسارة على طول؟

عمر: نص ساعة، وسأكون في انتظارك بالمترو.. محطة جامعة القاهرة.

***

المترو

ذهب عمر إلى المدينة... بعد أن ارتدى أفضل ما عنده. انطلق من سكنه وبصحبته أحمد. وقام بشراء هدية لكي يقدمها لسماح... تقابلوا في محطة جامعة القاهرة وركبوا عربة المترو... وكان الزحام يسيطر على العربة. وكان في المترو بائع أقلام وممسك بلافتة مدون عليها خريج تجارة. وهنا نظرت سماح إلى عمر وهتفت له: ينتظرنا مستقبل باهت.

وكان أحمد يستمتع بالنقاش وأشار لهم أنه في كلية طب مازحًا، وهذا الحدث لا يمكن أن يحدث مع دكتور.. صمت عمر قليلًا .. ثم قال لهم: راقبوا النقاش بيننا.

واشار لبائع الأقلام.. وطلب منه قلمًا لكي يفتح مجالًا للحديث. وبدأ النقاش بحماس وحيوية.. لماذا تمسك بهذه اللافتة.. قال له البائع: أنا خريج تجارة عام ٢٠١٦. واضاف: إن التعليم في بلادنا لا قيمة له، وإنه نادم على كل دقيقة قضاها في مسيرته. ولو عاد به الزمن سوف يكون مساره مختلفًا تمامًا..

استقبل عمر كلماته وهو يصطنع التعاسة وطلب منه أن يتحقق من مدى قدرته التعليمية. بعد أن ادعى البائع أنه على دراية وملم بكل المعلومات التى حصل عليها في الكلية، وأنه مظلوم في بلد لا تقدره.

والبائـع كان متحمسًـا لذلـك، وسـماح وأحمـد في إنصـات تـام، بـل معظـم الحاضريـن منصتـين للحديـث ويترقبـون الحـوار بصـدر رحـب.. ألقـى عمـر أسـئلة بسـيطة مـن نوعهـا وأجـاب عنهـا البائـع.

وقـال: تحققـت، يـا باشـا، مـن قـدراتي بعـد إذنـك .. أنـا خـارج مـن منـزلي أبحـث عـن قـوت يومـي.. لا تعطلنـي مـن فضلـك.. اسـتقبل عمـر كلماتـه بصـدر رحـب وقـال: سـوف اشـتري ٥ أقـلام ولكـن جـاوب عـن الأسـئلة ثـم أضـاف سـؤالًا متوسـطًا، ولم يُجـب البائـع. وتوالـت الأسـئلة مـن قبـل عمـر، والبائـع صامـت لا يجيـب.. ابتسـم عمـر وقـال: لا أفضـل أي شـخص أن يـدس عـادة سـيئة.

ثـم أضـاف أن البائـع لا حـرج عليـه، وأننـا نعيـش في مجتمـع ينظـر إلى خريـج تجـارة نظـره باهتـة، وعليـه العمـل في تغيـر ذلـك. حتـى يتغيـر الإدراك. ونعـى أن للقمـة وجوهًـا كثـيرة. وأن لـكل منـا قـدرات مختلفـة قـد وهبهـا لـه اللـه فليسـعى لتوظيفهـا أحسـن توظيـف، وأن كل عمـل يخـدم المجتمـع، ونحتـاج إليـه فهـو واجـب، وأن للعلـم مجـالات شـتى غـير قـاصرة عـلى علـوم الطـب والهندسـة. ويحتـاج المجتمـع لـكل هـذه العلـوم دون تمييـز، وأن لـكل إنسـان رزقـه الـذى كتـب لـه، فـإن لم يقـصر المـرء في حـق نفسـه فـلا تقـارن نفسـك بمـن حولـك.. تبسـم البائـع وهـو يقـول: مضـت الرحلـة دون بيـع أي قلـم.... فهتفـت فتـاة: كنـت دائمـا أشـعر بخيبـة أمـل والآن أشـعر بالأمـل... قاطعتهـا سـيدة وهـي تلـوح بيديهـا: مـش أمـل وبـس.. ده آمـل وعمر كـمان....

ابتسـم عمـر وهـو يغمـز لسـماح وأحمـد واشـار إليهـما أن يلحقـا بـه ونزلـوا في محطـة المعـادي.. وهـم البائـع خلفهـم وهـو يقـول:

- الخمس أقلام، يا بيه.

ضحـك عمـر وضحـك الجميـع ودفـع لـه مقابـل الخمـس أقـلام وشـكره

عـلى سـعة صـدره، وقـال: أعلـم أن النصيحـة في المـلأ فضيحـة، ولكـن أردت أن أنصـح الجميـع هـذه ليسـت مشـكلتك بـل مشـكلة مجتمـع .. وغـادروا المحطـة. تابعـت سـماح: سـارة عـلى الهاتـف حتـى وصلـوا إلى منزلهـا....

***

يبحث عن ذاته

ظل عمر يلتفت يمينًا ويسارًا يتأمل الوجوه والمحلات بلا هدف كالتائه، لا يدري أصلًا ما الذي يدفعه لذلك. وهو يسير برفقة سماح وأحمد حتى وصل إلى منزل الشيخ... كانت سارة تنتظرهم بالداخل... استقبلتهم والدة سارة، بعدما رقدت سارة على السرير استعدادًا لتمثيل دور المريضة. انفجرت والدة سارة عفاف في البكاء بلا وعي، عندما رأت عمر، وقالت وهي تشير لهم للدخول: تفضلوا.

استطاعت مقاومة إغراء احتضانه، كان الشيخ يجلس خلف الأبواب المؤصدة منتظرا دوره... جلسا عمر ورفاقه على الأريكة في غرفة سارة، وراحت عفاف تعدَّ المشروبات للضيوف... لم يشعر عمر بنفسه إلا وهو واقف يتأمل صورة معلقة على الجدار. إنها سارة ورجل بلحية ووالدة سارة التي رآها تفتح لهم الباب ورجل آخر خمسيني. راقبه الجميع وهو واقف أمامها يحدق بها، اغرورقت عينا عفاف بالدموع.. دموع الفرح. اقتربت منها سماح، وطلبت منها التمسك أكثر من ذلك، جلس عمر على الأريكة مرة أخرى بعدما نداه أحمد ... اقتربت سماح من عفاف ووشوشت في أذنها ببضع كلمات... فهزت عفاف رأسها متفهمة... ثم همت للنهوض واتجهت صوب المطبخ... من هؤلاء في الصورة؟ قالها

عمر لسارة... كان السؤال لسارة مباغتًا فهي لم تعد له جوابًا، وربما لو لاحظتها قبل مجيئهم كانت ستخبئها... تلعثمت، وفرت الدموع من عينيها دون استئذان... فقالت سماح منقذة للموقف: سلامتك، يا سارة.

واقتربت منها وهي تحتضنها، همست تماسكي، يا سارة....

قاطعهم صوت قدمَي الشيخ، فأخذ كل منهم موضعه قبل أن يلقي عليهم التحية، استقبله عمر واقفًا فقام الشيخ باحتضانه قبل أن يجلس بجواره... كان عمر يلتفت إلى أركان الغرفة، ويسترق النظر إلى ضلفة الباب المفتوحة للنظر إلى ما هو خارج الغرفة... تقدمت عفاف وهي تحمل المشروبات قدمتها لهم....

- انهضي يا سارة، واجلسي مع اصدقائك. قالها الشيخ وهو يداعب حبيبات مسبحته الفضية... وكأنها نست دورها، استوت جالسة على سريرها قبل أن تقترح عليها عفاف الذهاب إلى الطابق العلوي.... صعدوا إلى الطابق العلوي... لم يشعر عمر بقدميه وهي تسير على السلم... يبدو أنها جاءت هذا المكان من قبل... بدت له الشقة أفضل من السابقة، لم تصعد عفاف والشيخ منفذين تعليمات سماح التي استمدتها من زوج هاجر الطبيب.....

تناقش أحمد مع سماح بينما ذهبت سارة وعمر يتجولان في الشقة... وقف عمر أمام صورة معلقة على الجدار فقالت سارة وهي تنظر إلى الصورة:» إنه أخي، الله يرحمه توفي صغيراً». تدور الأفكار في ذهن عمر قبل أن يقول: الله يرحمه، تعرفين أنه شبهك جدًّا..... ابتسمت سارة وهي تقول:

- أنا بهذه الحلاوة...

جاءت نداءات سماح للمغادرة... غادر عمر وسماح وأحمد بعدما ودَّعوا سارة ووالديها.

***

عودة الذاكرة

في نفس الليلة، تحدث الشيخ مع سماح هاتفيا. وقال إنه ذهب إلى الطبيب، ويجب على المريض أن يزوره... كان لسماح رأي آخر. وقالت إنها تتابع زوج صديقتها الطبيب. وهم الآن يسيرون على خطاه ... استسلم الشيخ... واتبع نصائح سماح... تكررت الزيارات بعدها، ومر الترم الأول دون أي تقدمات، وجاء الترم الثاني وبقت زيارة سارة ثابتة ولا بد منها بحجة أن والدتها تحب سماح وعمر وأحمد... وقبل نهاية الترم الثاني كان عمر في منزل سارة بالطابق العلوي ينتظر طعام أم سارة مثله مثل أحمد وسماح وسارة.... كان يجلس على السرير ممسكًا بكتاب التكاليف غريقًا منهمكًا بالمذاكرة. أيقظه صوت إغلاق الباب إثر الريح المنبعث من الشرفة. التفت إلى الشرفة ثم عاد النظر إلى الباب فلمح كتابة منقوشة على ظهر الباب، نهض وسار تجاه الباب. وفوجئ بفتح الباب وارتبك عندما رأى سارة حاملة فنجان قهوة... تراجع في خطى وئيدة، وجلس على حافة السرير... فصارحت سارة عمر.. الذي كان يستمع لها والأفكار في ذهنه تتداخل... فصفع الباب مرة أخرى فراءة عمر الكتابة مرة أخرى فقام واقترب منها وحشتني يا طارق فعاد النظر إلى سارة وهو ممسك برأسه وجلس... ما أن جلس وألقى بجسده على حافة السرير، رفع رأسه متنفسًا الصعداء وأخذ يفكر فيما حدث له.... أدرك عمر نظرات بائع

التين الشوكي المتجول الذي سلم عليه من قبل ولم يعرفه عمر.... وهتافات العجوز التي تبيع الشبت والبقدونس والجرجير والخس في الشارع وهي تقول:

- عمّوري، يا عمّوري. وعندما نظر إليها عمر ولم يستجِب ظنت أنها كبرت ومارست تخاريف الكبار.... مدد جسده على السرير يصارع تساؤلات موحشة تنهش رأسه.... أسرعت سارة إلى الخارج وهي تهتف سماح..أبي.. أحمد.. أنقذوني... وجاء الشيخ وعفاف وأحمد وسماح على استغاثة سارة... وجدوا عمر في حالة إغماء...

***

في المستشفى

نقل عمر إلى المستشفى ...

ـ طمني يا دكتور. قالها الشيخ وعيونه تزرف الدموع.

ربت الطبيب على كتفه وقال : هو الآن في حالة استرجاع ذاكرته المفتقدة، ادعِ له.

أما أحمد فظل يدون جميع المحاضرات في كشاكيل عمر، ويرشد الأصدقاء إلى مكان المستشفى... وسارة وسماح يستقبلون الزوار... مر أسبوع أثبت كل منهم أنه يحب عمر... ولم تفت الفرصة على البركة الذي كان يأتي بالطعام لهم كل يوم.... أما عماد كان في أسوأ حالاته... ظهر عليه أثر الحزن بقوة... ظل بجانب عمر طيلة الفترة.... وبعد أن أفاق عمر وجد آية التي كانت تزوره برفقة والدها لأول مرة، وكأن عمر ينتظرها ليفيق... وكانت سارة وسماح وعفاف والشيخ وأحمد ومدحت متواجدين بجوارها....

بعد ثلاثة أيام، خرج عمر، وعاد إلى المدينة الجامعية بعدما رفض الجلوس في منزل الشيخ... استقبله العاملون بفرح وسرور لعودته.. رجع

المـدرج وتألـق مـن جديـد ولمـع اسـمه مـرة أخـرى في مجموعـة الدفعـة...
ظلـت آيـة تسـانده وتـشرح لـه مـا فاتـه مـن محـاضرات حينهـا أدرك دوره عندمـا كان يـشرح لغـيره... أمـا الشـيخ فحـق عليـه أن يشـكر فضلـه إلى الأبـد... وأن يقـر بأنـه لـولا هباتـه العديـدة مـا وسـعه أن يسـعد بمـا نـال...

***

مثل صديقي!

كان عمر يسير صوب الباب الرئيسي للجامعة، فسمع هتاف « عمر.. عمر». نظر فلم يجد إلا فتاة بطنها تبرز أمامها تشبه رباب، ولكن عندما قالت: خد ياد. تأكد أنها رباب، اقترب منها وصافحها، وظل يتحدثان ساعتين في أمور الزواج والكلية والمستقبل و... وفى نهاية الحوار قال لها عمر:

ـ دائما ما أعاملك مثل صديقي أحمد.

تمتمت بالشكر ولكن توقف لسانها عندما أدركت معاني كلماته، ورفعت حاجبيها. وظهر جعفر الذي يسيطر عليها فراح عمر يضحك، ويقول هذه الحقيقة وأنا معجب بشخصيتك، وتبادلا المزح... ورن هاتفها.. وتحدثت بدلال غير معهود أو لم يرَها عمر تتحدث كذلك من قبل ... الحمد لله.. في الجامعة مع عمر الذي حدثتك عنه من قبل... تمام... نصف ساعة وتعالى ... سلام.. أغلقت هاتفها وهي تقول مبتسمة:

- إسلام زوجي.

ـ وضع يده على فمه كطفل خائف قبل أن يدرك أنه في القاهرة فاخفضها وهو يتلعثم بمبرر لما فعل.

ضحكت رباب وهي تقول: صعيدي.

ضحك عمر على رد فعلها، ثم استأنفت رباب وهي ممسكة بخرزة صغيرة بلاستيكية، وأعطتها لعمر وهي تقول له: احتفظ بهذه. نظر عمر ثم أردفت : هذه للشباب. وأخرجت خرزة بلاستيكية بشكل مختلف وقالت: هذه للفتيات.

هز عمر رأسه وهو يقول من الجميل الاحتفاظ بأشياء تذكرنا بأصحابها.

***

المصارحة

قبل نهاية الترم، اعترف عماد للشيخ بوجود البركة وقال له: أنا الذي اخذت ملف عمر لكي أبحث عنه... وقال وهو ينظر للاشيء.. لا يمكن أن أنسى دور عمر في وجودي مع الشيخ الآن... وكنت أسعى لرد الجميل، ولم أقدر على مواجهتك يا شيخ رغم أني رأى اتهامك للبركة غير الصريح أمامي واتهام البركة إلى... لم يكن لديَّ القدرة على مواجهتكم ولم أكن مستعدًّا للعواقب..

احتضنه الشيخ ودمع البركة، وهو يرفع يديه ويتمتم بالشكر لله...

***

واثقة

هكذا تتركيني يا سارة قالها عمر مازحًا على هيئة عتاب.

نظرت إليه سارة بغيظ مكتوم، ثم قالت: أنت الذي تركتنا.

عمر ضاحكًا: لم يكن الأمر بيدي.

سارة بمرح طفولي: أين هاتفك القديم؟

عمر وهو يضع رأسه على جبينه يحاول تذكر ما نسيه: لا أعرف عنه شيئًا .

سارة وهي تتفحص هاتفها: انظر لتلك الرسائل.

أمسك عمر الهاتف، وهو يقول هذا حسابي القديم... وظل يردد الرسائل على شفتيه ويرسم ابتسامة ما بين الحين والآخر...

سارة وهي تنظر إليه: أنا لم أفقد الأمل في رجوعك قط.

- مجنونة. قالها مداعبًا.

***

الوداع

اقتربت حفلة التخرج. ففي جامعة القاهرة تتم حفلة التخرج قبل خوض الامتحانات تجمع عمر وأحمد ومدحت وآية وسارة وسماح.... التقطوا الصور الفوتوغرافية معًا... وعزمهم الشيخ على حفلة إضافية بمناسبة تخرجهم في منزله...

جاءت الامتحانات وكانت أصعب امتحانات خاضها عمر، فهو يفكر في الامتحان وفيما بعده والجيش والعمل... متشتت الذهن...

وفي آخر يوم، التقى بسماح وأهدته كراسة، وأخبرته أن لا يفتحها إلا منفردًا... أخذها وعاد إلى المدينة بعد الانتهاء من توديع أصدقائه والتقاط الصور معهم..

في المدينة الجامعية بعد الانتهاء من أوراق الإخلاء وتسليم الغرفة بخبرته السابقة... ودع العاملين بالمبنى ...

بينما هو يسير خارج المبنى، انتابه شعور بالحنين إلى المدينة فهو لا ينكر أجمل اللحظات التي عاشها بين أسوارها... الود بين أصحابه الطلاب، وتبادل أدوات الغسيل... حفلة التخرج الليلية بين طالب المدينة كل عام... مشاهدة المباريات معًا... مزاح العم أشرف صاحب الكافتيريا... الملاعب والإضاءة الليلية...

اســتكمل ســيره قاصــدًا الخــروج مــن البوابــة... توقــف أمــام المطعــم، وأفلتــت منــه ابتســامة. عندمــا تجســد أمامــه صــوره طــرق العــم طــارق عقــب الانتهــاء مــن تعبئــة كل صحــن أرز... التفــت يمينًــا فــرأى المســجد الــذي شــهد صلاتــه تأملــه قليــلًا، ثــم ســار في اتجــاه العــم محمــود فــرد الأمــن الــذي أحبــه جميــع الطــلاب بحســن تعاملــه معهــم... غــادر المدينــة، وأشــار إلى تاكــسي أبيــض... بعدمــا وضــع حقائبــه في الشــنطة، جلــس بجــوار الســائق وقــال بارتيــاح: المهندســين مــن فضلــك.

توقــف التاكــسي أمــام العــمارة، وإذا بالعــم رجــب يجلــس أمــام العــمارة ابتســم لرؤيــة عمــر، فقــام باحتضانــه فــور نزولــه مــن التاكــسي... ســاعده في حمــل الحقائــب، سرد قصتــه للعــم رجــب.

***

العودة

وفي اليوم التالي،... اتصل به الشيخ وعرض عليه الرجوع إلى العمل.. عاد إلى منزل الشيخ رمضان، فرحت سارة لعودته... وبعد أسبوع ظهرت النتيجة وحصل على تقدير امتياز... نشر منشورًا على الفيس بوك وباركه جميع أصدقائه... عدا العم رجب الذي اتصل به، وتعمد مباركته صوتيا... وفي نهاية المكالمة، أخبره بوجود كراسة صغيرة تحمل عنوان «ظل القاهرة». رن الصوت في أذنيه، وراح يتذكر مقابلة سماح في آخر يوم بالجامعة، فأبلغ العم رجب بالاحتفاظ بها وسيأتي ليأخذها في أقرب فرصة... مرت الأيام، وجاء موعد تأدية خدمته العسكرية، ارتدى ملابس الجيش بكل فخر، حزنت سارة على المغادرة مرة ثانية. ولكن هذه المرة لا تستطيع الوقوف أمامه.... بعد سنة، عاد إلى منزل الشيخ مرة أخرى، كما عاد الأمل إلى سارة مرة أخرى... عمل مع الشيخ بالشركة... واختلف الوضع هذه المرة فأصبح يتمتع بالتعليم الأكاديمي والعملي...

***

تـائـهـة

ظلـت آيـة ترفـض كل عريـس يتقـدم لخطبتهـا... ظلـت تائهـة بين مشـاعرها المختلفـة، فـكل صبـاح تكـون عـلى حـال مختلفـة مـما كانـت عليـه... مشـهد في التلفـاز قـادر عـلى تحريـك مشـاعرها نحـو اتجاهه...

ـ يـا ابنتـي، مـا بـكِ؟ هكـذا قالـت والدتهـا... بعـد رفضهـا لآخـر عريـس، الـذي كانـت تـراه مناسـبا لهـا.

أطلت آية بانكسار وقالت : لا شيء، يا أمي.

فقالـت ملمحـة هـل يوجـد أحـد بحياتـك؟ صارحينـي، يـا ابنتـي! فأنـا صديقتـك قبـل أن أكـون والدتـك.

فقالت آية بعد أن اعتدلت في جلسته:

- تتذكـري عندمـا طلبـت منـك إخبـار والـدي بالذهـاب معـي لزيـارة عمـر في المستشـفى.

أومـأت والدتهـا بالإيجـاب فاسـتطردت: لم أتـردد عـن طلـب ذلـك منـك، وكان هـدفي هـو عـدم الخـوف كـما ربيتنـي. ثـم أضافـت: أنـا لا أحمـل مشـاعر تجـاه احـد ولكـن اختيـار شريـك حيـاتي ليـس بالسـهل... وأنهـت حديثهـا...: لم يـأتِ حتـى الآن الشـخص المناسـب.

ربتت والدتها على كتفها وظلت تحدثها ربع ساعة قبل أن تخرج من غرفتها...

بعد أن غادرت والدتها شردت آية في أفكارها وعاشت في الماضي.

عندما رمقت عمر يغمز للموظفة في المكتبة المركزية، وقبل أن يعود عمر بنظره إليها اصطنعت الانشغال بكتابها، بعد يومين قتلها الفضول فعادت إلى المكتبة منفردة، وذهبت إلى الموظفة ذاتها وسألتها بعد تردُّد على تلك الغمزة التي قهرتها من يومين، فأتى ردُّها بالبرود بعدما شعرت أن تفكيرها محدود، وأنها تشك في أن موظفة في عقدها الثالث ستنظر إلى طالب جامعي... ولكن اختلفت الحال بعدما انشغل عمر بالذهاب إلى منزل سارة، ولم يعد يذهب إلى المكتبة، فكانت الموظفة تعاملها بلطف بعدما اقتربت منها لتطمئن على غياب عمر الذي اعتاد بالتشريف يومًا.

وفي يوم، كانت آية تجلس منفرده ممسكة بكتاب يدل اسمه عن الحب، اقتربت منها الموظفة، شعرت آية بقربها وسريعًا ما راحت تخفي اسم الكتاب، ابتسمت الموظفة لها، وقالت: ليست العواطف عارًا لتخفيه.

فقالت آية بشموخ: أعلم ذلك.. ولكن نحن في مجتمع شرقي.

احتجت الموظفة على رأيها... وتبادلتا الحوار، ثم همت الموظفة، واقتنصت كتاب كان يحمله عمر عند الغمزة، وأرت آية كيف حالك جدًّا.

تغيرت ملامح آية بعد رؤيتها لذلك. وتذكرت ذاك الموقف على السلم الرخامي. وأدركت ما كان يرمي له عمر بألغاز .. ولكنها عجزت عن فكه... أدركت ما سبب تعمد عمر في كل مرة يلتقيان يبادرها كيف حالك جدًّا، أصبحت قادرة على إجابة أسئلتها غير المنطقية بعدما تسمع»

كيـف حالـك» فكانـت تقـول: يجـب التغـير «كيـف حالـك» مـرة... « Hi « مـرة.. «إزيـك» مـرة... «أهـلا» مـرة...

تغيرت عواطفها وزادت تعلقًا بعمر بعد تلك الزيارة للمكتبة...

عـادت مـن ماضيهـا، وقـررت أن تعيـد التفكـير في آخـر عريـس تقـدم لهـا فهـو لا يعيبـه شيء، ويكفـي تعلُّقـه بهـا وتمسـكه فهـذه المـرة الثالثـة التـي ترفضـه...

بعد شهر، تمت خطوبتها وتلاها الفرح بعد ثلاثة أشهر...

***

الكراسة

وفي يـوم، قـرر الذهـاب إلى العـم رجـب ، بعـد الترحـاب وتنـاول الطعـام معًـا، أخـرج العـم رجـب مـن خزانتـه الكراسـة أعطاهـا لعمـر. وفي نهايـة اليـوم، عـاد عمـر إلى سـكنه... وبعدمـا أعـد القهـوة جلـس في شرفتـه وفتـح الكراسـة... راح بأناملـه يحـرك أول صفحـة، فسـقط نظـره عـلى عنـوان يتوسـط الصفحـة «سـماح الشرقاويـة كـما تحـب أن تناديني.» وتابـع القـراءة.

«بعدمـا تفرقنـا، انتقلـت إلى القاهـرة لدواعـي عمـل أبي ضابـط جيـش، هنـاك تعرفـت عـلى ابنـة الجـيران وكانـت في نفـس عمـري اخبرتنـي بالمعادلـة فالتحقـت بهـا، وعندمـا التقيـت بـك في أول مـرة أمـام بنايـة مدرجـي (ج & د) في البدايـة كلمتـك بـبرود وعندمـا ركـزت في وجهـك، وشـعرت بنـبرة صوتـك، كـدت أن أسـألك هـل أنـت عمـر؟ ولكـن تراجعـت، وطلبـت رقـم هاتفـك بحجـة مسـاعدتك لـكي أتأكـد مـن هويتـك... عـدت إلى البيـت، وجلسـت أمـام حاسـوبي المحمـول، غمـرني شـعور بالسـعادة عندمـا علمـت بأنـك عمـر الـذي أعرفـه... في نفـس اللحظـات، جاءتنـي فكـرة أن أدون كل مـا يجـري بيننـا.

التقيت بك في أول يوم جامعي.. أتمنى أن يكون العام سعيدًا معك..

اليوم، تعرفت على صديقتي سارة واسمك جمع بيننا.

اليوم اتصلت سارة، وأخبرتني أنك عمر بطل قصتها.

بعـد أن تأكـدت أنـك الـذي تقصـده سـارة. وأدركـت حقيقـة الأمـر حاولت أن أصارحـك ولكـن ظللـت أتردد..

اليوم سأذهب للجامعة مع ابنة الجيران

سأذهب دون رؤياك.

آسـفة يـا عمـر لم أقصـد أن أدلـق عليـك القهـوة، ولكـن عندمـا جـاءني اتصـال مـن صديقتـي، وأنـا جالسـة بجـوار الكافتيريـا بعدمـا أغلـق البـاب ولم أسـتطِع الدخـول ، اخبرتنـي أن وجـودك يسـبب لهـم الحـرج، أخبرتنـي أنهـا رفعـت يديهـا لتجيـب دون أن تكـون واثقـة مـن نفسـها لـكي ترفـع الحـرج عـن مجموعتهـا... انتظرتـك أمـام المـدرج، بعدمـا أنهيـت المكالمـة معهـا ولحسـن حظـي وجـدك تقـف منفـردًا ...

جئـت لـك مـن الخلـف، وعندمـا باغتـك وأنـت تنظـر لي، مـرت فتـاة مـن أمامنـا ، حدقـت بنـا قبـل أن تغـادر، أوحيـت نظراتهـا أنهـا تريـد الجلـوس معـك، حينهـا عزمـت عـلى أن لا أتـركك تذهـب، بعـد ذهابنـا إلى الكافتيريـا.

وصارحتك بالحقيقة، وتفاجأت بردك فلم

أدرِ كيف رميت عليك القهوة... سامحني، يا عمّوري..

منـذ دقائـق، كنـت جالسـة برفقـة جـارتي. وأخبرتنـي بمـا رأتـه البارحـة مـن دلـق القهـوة. سردت لهـا القصـة، فتعاطفـت معـي وأعطتنـي بعـض الكتـب الدينيـة الصغـيرة وطلبـت منـي قراءتهـا.

اليوم انتهيت من أول كتاب.

لم أعد أراك إلّا لمامًا... ولم أحس باختلاف هل أصبحتَ لدي عاديًّا !!؟»

أغلـق عمـر الكراسـة، وراح يعـد فنجـان قهـوة، وقـف أمـام الموقـد يراقـب القهـوة، وهـو يحـاول أن يتمالـك نفسـه شرد في تفكـيره. أيقظـه صـوت انهيـار

القهوة على الموقد فراح يسحبها سريعًا، وعاد إلى كرسيه بعدما صبها في فنجانه.. فتح الكراسة مرة أخرى.

«اليوم ابنة الجيران أعطتني بعض مقاطع الفيديو الدينية.

بعد انقطاع أسبوعين عن الكتابة، لا أعلم هل يجوز أن أكتب لك أم لا، ولكن سأمتنع عن الكتابة وسأكتفي بذلك القدر.

لم أستطع منع نفسي اليوم، ولم أجد ما أكتبه، فبدر لي شرح عنوان الكراسة.

«ظل القاهرة»... اخترت العنوان من تجربتك بما حكيت لي وما قصته سارة على ظِل، لأنك هنا احتميت بين جدران منزل الشيخ...

ظِل لأنك هنا احتميت بعرفة بعدما أواك في سكنه وبحث لك عن عمل ...

ظِل لأنك هنا احتميت بالعم رجب من الجهل ومن قبله المأوى...

القاهرة بالنسبة إليك.

ظِل شجرة في درب مشمسة، تحتمي به من أشعة الغربة والتشرد والفقر والجهل.

اليوم هو آخر يوم فيه ألقاك أود أن أقول

لك بملء فمي، أنا من ساعد سارة للوصول إليك، وساندتك حتى تسترجع ذاكرتك، كان لدى دافع على ذلك، ولكن جاءت جارتي لتشجعني وطالبتني بفعل هذا فهو خير دليل على صدق مشاعري التي أصبحت لا تتعلق بأحد. في البداية، كان الموضوع صعبًا، ولكن مع سماع الفيديوهات وقراءة الكتب الدينية صمدت.

أمام مشاعري، وتأكدت من صدق مشاعري.»

تبقت آخر صفحة في الكراسة وجد فيها بخط مهزوز «سلام يا عمر».

أغلق الكراسة، ومدد جسده على السرير ودمعتين دافئتين تسيل على خده، وتزغلل الرؤية أمامه... فراح في ثبات عميق.

***

السلسلة

وفي يـوم، جلبـت سـارة الفطـور إلى عمـر، وبعـد تناولـه وجبـة الفطـور جلسـت بجانبـه وسردت لـه مـا حـدث، يـوم حادثـه ضحـك عمـر وقـال:

- كل هـذا حـدث وأنـا لم أدرِ بنفـسي. قالـت سـارة بنغمـة حزينـة: أنـت جعلـت يـوم نجاحـي كابوسًـا.

قال عمر وهو يبتسم: أنا آسف... التفت إلى المنضدة فتذكر السلسلة.

ثم أردف قائلًا: اغمضي عينيك.

أغمضـت عينيهـا منتظـرة أن تفتحهـا عـلى مفاجـأة... اقـترب مـن المنضـدة وفتـح درج وأخـرج السلسـلة ثـم قـال: افتحـي الآن. فتحـت عينيهـا وارتسـمت عـلى شـفتيها ابتسـامة بعدمـا رأتـه ممسـكًا بسلسـلة فضيـة تحمـل اسـم طـارق قدمهـا لهـا وهـو يقـول:

- هدية النجاح.

لم تبـالِ سـارة مـن حـرف ج في كلمـة النجـاح التـي اعتـادت أن تضحـك عنـد سـماعها مـن فـم عمـر، ولكـن سريعًـا مـا أدركـت أن ذهـاب عمـر إلى وسـط البلـد لـكي يشـتري السلسـلة تقبلـت منـه السلسـلة بفـرح وابتسـامة ولم تلبـث الا أن وقـع نظرهـا عـلى اسـم طـارق، وذرفـت عيناهـا بالدمـوع، وضمـت السلسـلة إلى صدرهـا، وهـي تقـول: اللـه يرحمـك، يـا أخـي.

لم يكن عمر منصتًا لكلامها، وقال محدثًا نفسه: إنها دموع الفراق، وأدرك أن سارة لها علاقة بـ طارق حينما رأى الدموع تغرغر في عينيها، لعن الحب الذي يحمله لها، ولم يعِ أنها تحمل ضعف، بجهله وعدم إنصاته، مات الحب... هو يتألم ويحزن على قلبه وهي ما ذنبها أن ترتكب جريمة ليست هي من فعلها؟

الآن هي في نظرة عاشقة لغيره وهي ما عشقت غيره..

استأذنت سارة من عمر وغادرت.

عمر محدثًا نفسه لماذا أحبها وهي تحب غيري ، لماذا قالها بصوت عالٍ، وهو يحدف الوسادة على الباب...

وضعت سارة الهدية جانبًا، وذهبت إلى المطبخ وموجه من الحزن تعصف بمشاعرها، وتجفف حلقها... وسيل من الدموع لا تستطيع التحكم فيه، يجري على خدها....

- سارة سارة. التفتت سارة، وجدت والدتها خلفها.

- ما بكِ، يا ابنتي. قالتها بلهفة وهي تشرع بذراعيها لتحتضنها، استلقت سارة في حضن عفاف وهي تقول: طارق وحشني قوي.

ورفعت السلسلة مظهرة اسم طارق الذي انعكس عليه إضاءة لمبة المطبخ.. ربتت عفاف على ظهرها محاولة في تهدئتها...

***

الخطوبة

بعد خمسة شهور من العمل، كان عمر جالسًا بجوار الشيخ في الشركة. وجاءهم سيدة عجوز وهي تقول: يا أبو طارق، نحتاج ثلاجة. تسللت كلمات العجوز إلى عمر وهو يردد أبو طارق... بعد أن غادرت السيدة وعاد عمر والشيخ لجلستهم، تساءل عمر عن طارق، فقال له الشيخ بلسان مؤمن ابني الله يرحمه فرددها خلفه عمر... وفي نهاية اليوم، قرر السفر إلى سوهاج وأخبر الشيخ برجوعه بعد يومين. ....

بعد يومين، عاد عمر ....

وهذه المرة كان معه والداه ... تمت خطبة سارة ... وسط أفراح الأصدقاء... وكان من بين الحضور آية وزوجها.. وسماح وزوجها... ورباب وابنها عمر وزوجه... ورفاقها البنات... و مدحت وأحمد وباقي أصدقائه الشباب... والعم رجب ورفاق العمل... وعرفة.. والحاج حمدان وابنه معتز وابنته فرحة وعماد... وبينما كان عمر وسارة جالسين على كراسي الخطوبة همست سارة لعمر: من نور!! ضحك عمر وقال: نور، أختي لم تستطِع المجيء بسبب حملها... اعترى سارة شعور بالخجل، فابتسمت وهي تطل على الحاضرين....

الفهرس

في محطة سوهاج ٧
اللقاء الأول ١٣
في القاهرة ١٧
البداية ٢٣
الصدمة ٢٥
الفيس بوك ٢٧
الابن ٢٩
ليلة الجمعة ٣٠
رحلة الإسكندرية ٣٢
المنافسة ٣٧
في بيت حمدان ٤٢
زيارة حمدان ٤٤
مشاعر عجوز ٤٧
الغيرة ٥٠
العصفورة ٥٣
الحادث ٥٦
الترقب ! ٥٨
الإفاقة ٦٠
المتهم ٦٣

الرفيق الأول ٦٤
أشرقت الشمس وغاب عمر ٦٧
سجدة صلاح ٦٩
كسرة القلب ٧٢
تعمل في مطعم ؟ ٧٤
القدوة ٧٦
المجذوب ٨٠
قلة حيلة! ٨٣
ادفع ٨٥
العشق ٩٠
بشكل غير رسمي ٩٢
ما ذنبي ! ٩٤
التوعد ٩٧
فص ملح وذاب ٩٨
الندم على ما فات ٩٩
كما أراد ١٠١
أجمل أيام عمرنا ... شباب وبنات ١٠٢
تصنع المجد ١٠٣
صدفة ! ١٠٤
الماضي ١٠٧
شششاي ١١٢
المحامي ١١٤
براءته ١١٥
الاستقالة ١١٧

جامعة القاهرة ١١٩
بنت الحارة ١٢١
اللمبة ١٢٣
ليلة الامتحان ١٢٥
الامتحان ١٢٦
تمنيتها وتحققت ١٢٧
أول يوم دراسة ١٣٠
مصلحة حكومية ١٣٢
الرحيل ١٣٥
المدينة الجامعية ١٣٦
شخص مشترك ١٣٩
المتهم ٢ ..... ١٤٣
الاعتقاد الخاطئ ١٤٥
المقعد الأول ١٤٧
الطيب ! ١٤٩
أصيل ١٥٤
العودة إلى الدار ١٥٦
درس جديد ! ١٥٨
المسقعة ١٥٩
مجموعة أ ١٦٢
الرفيق ١٦٣
نائب رئيس الجامعة ١٦٥
شبيه عمر ١٧٠
شجاع السيما ١٧٢

قلبه التفت ١٧٤
ثقيل الدم ١٧٥
بحبك... حلوة القهوة ١٧٧
لكنك بخلت ١٨٠
بنت حقوق ١٨١
اللقاء الأول بعد الفراق ١٨٣
الشرقاوي ١٨٥
المحاضرة ١٨٧
كيف حالك جدًّا ١٨٨
المدينة الرياضية ١٩١
مكالمة من مجهول ١٩٣
حظ سعيد ١٩٦
التفوق ١٩٧
مجنونة لكنها جميلة ٢٠٠
في كلية حقوق ٢٠١
التغير ٢٠٣
موحه ٢٠٤
سامحيني ٢٠٥
صعيدي قفل ٢٠٧
المترو ٢١٠
يبحث عن ذاته ٢١٣
عودة الذاكرة ٢١٥
في المستشفى ٢١٧
مثل صديقي! ٢١٩

المصارحة ٢٢١
واثقة ٢٢٢
الوداع ٢٢٣
العودة ٢٢٥
تـائـهـة ٢٢٦
الكراسة ٢٢٩
السلسلة ٢٣٣
الخطوبة ٢٣٥